

**الباب الثالث**  
**آثار العنوسة**

**الفصل الأول**  
**آثار العنوسة على الفتاة**

**الفصل الثاني**  
**آثار العنوسة على أهل الفتاة**



## الفصل الأول آثار الغنوسة على الفتاة

المبحث الأول  
الآثار الجسمانية للغنوسة

المبحث الثاني  
الآثار النفسية للغنوسة

المبحث الثالث  
الآثار الاقتصادية للغنوسة

المبحث الرابع  
الآثار الأخلاقية للغنوسة

## المبحث الأول الآثار الجسمانية للغنوسة

- ١- الذبول
- ٢- شحوب الوجه واللون
- ٣- هزال الجسم
- ٤- تخدد الوجه
- ٥- ذهاب البكارة
- ٦- شيب الرأس
- ٧- مشاكل وتغيرات صحية

## المبحث الأول

## الآثار الجسمانية للغنوسة

تقول الدكتورة فوزية الدريع : البنت غير المتزوجة في عمر متقدم تعيش ألم الحياة بعزوبية في كل دقيقة ولكن هناك لحظات وأوقات يكون فيها الوجد أكبر، مثل :  
— زواج صديقة أخرى لها وإحساسها بأنها باقية وحدها والقطار يأخذ الجميع إلا هي.

— مولد طفل جديد في العائلة يحرك أمومتها ويشعرها بالحرمان.  
— حيض كل شهر إنذار أحمر يقول لها : بويضة ودعت هذا الشهر أيضا بلا زوج بلا جنين، بلا إخصاب.  
— ذكرى يوم ميلادها وهو يضيف كل عام سنة جديدة كالمطرقة على إحساسها تخبرها بأنها أكبر وهذا يعني أنها أقل حظا في الزواج.  
— الإعلام العصري بندواته وأبحاثه وأفكاره وبمخسنة يطارد البنت غير المتزوجة ويعرض مشكلتها طبعاً، النية الصافية في طرح الموضوع هي وراء ذلك لكن البنت تتعب نفسياً وهي تفتح مجلة لترى موضوع الغنوسة، تضغط زر الراديو في سيارتها لتسمع رأياً في الغنوسة، التلفزيون والندوات — كلها مرايا تخبرها بوجعها.  
كل فهار فيه هت يأتي وراءه ليل الليل سكون، خلود، ومخدة، وفراش والبنت غير المتزوجة كل ليلة حين تخلد في غرفتها، وفراشها وحدها تكون في مواجهة مؤلمة مع واقع عمرها.<sup>(١)</sup>

(١) كتيب الحياة بلا رجل للدكتورة : فوزية الدريع / مقال بعنوان مصانع الرجال المتوقفة من : موقع العانس.

وأشار الدكتور محمد الرواشدة أستاذ العلاج الطبيعي إلى أن زواج المتأخر يترافق معه عدة مشكلات متعددة في الولادة وصحة الجنين مبينا أن بعض الدراسات أكدت أن الحمل المتأخر بعد سن الأربعين يؤدي إلى ولادات مشوهة أما الإنجاب بعد سن الـ ٣٥ يؤدي إلى طفل منغولي لكل ٢٦٠ ولادة فيما تزداد النسبة بعد هذا العمر. (١)

ومشكلة العانس ليست ذات أبعاد اجتماعية فقط، بل هي ذات أبعاد صحية أيضاً، وقد يفاجأ القارئ وتفاجأ القارئة بذلك، لكن هذا هو الواقع، كما يقول الدكتور الأميركي بيدي سيجل في كتابه الطب والحب ومعجزات الشفاء: إن الأبحاث أظهرت وجود علاقة بين حدوث مختلف أنواع السرطان وغياب العاطفة الإيجابية، فالكراهية العنيفة والانفعالات العصبية وراء العديد من أمراض العصر الحديث المادية مثل قرحة المعدة. (٢)

#### ١- الذبول:

للغنوسة آثار على المبتلى بها، فكم من عانس تعاني من هذه الآثار، وكم من أب يهتم بعانس في بيته، مما يجعل ذلك الاهتمام يظهر ذلك على ايضاض شعره وانحناء ظهره، وكم من أم ترأف على ابنتها العانس، ويظهر ذلك شكلها العام ومظهرها، كما أن هذه الآثار تظهر على صفحات وجوه المبتلين بما وفلتات لساهم، وتقاطيع جسمهم، فيكون الجسم ذابلاً ضاوياً وبخاصة عند الفتاة العانس، بينما نجد لداهما المتزوجات يكن على درجة كبيرة من الحيوية وطيب النفس فالجسم ينمو بعوامل عدة من غذاء ودواء وراحة واستجمام وخلو بال من مشاكل وتفرغ من هموم ومشغوليات فالهموم والغموم

(١) جريدة الخليج العدد: ٧٣٦٥، ١٧/٨/٢٠٠٠م

(٢) موقع نبض الشارع، مجلة القيثارة، مقال بعنوان: عالها: الغنوسة مشكلة تتعقد.

إذا لزمت الإنسان أقضت مضجعه وأصابه الأرق وأثرت في جسمه وتعاير وجهه وأخرجت ما بداخله من ألم ومعاناة. ومن ثم يذبل جسم الفتاة العانس ويزوى عودها وتضمّر بعض أعضائها ، بينما نجد الفتاة المتزوجة يكون جسمها غضا طريا متوردا مفرها منفرجة الأسارير والعانس مقضبة الجبين دائمة العبوس ذابلة الجسم.

## ٢- شحوب الوجه واللون :

وجه الإنسان ولونه يتأثران بالبيئة التي حوله من فرح وسرور وطعام وراحة واستقرار، فالتنقل والأسفار يؤثران في الإنسان تأثيرا عجيبا أنشد الأصمعي:

غَيْرَ، يَا بِنْتَ الْحَلِيسِ، لَوْنِي طُولُ اللَّيَالِي وَاخْتِلَافُ الْجَوْنِ

وَسَقَرٌ كَانَ قَلِيلَ الْأَوْنِ<sup>(١)</sup>

ونعم الله عز وجل على أصحاب الجنة كثيرة متعددة وتظهر هذه النعم نضرة على الوجوه يحس بها من رآهم دون أن يشاهد شيئا منها ويتلمس هذه النعم التي يعيشون فيها من نظر إليهم، قال الله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾<sup>(٢)</sup> فهم سعداء بما هم فيه من نعيم، ويتوقعون وينتظرون المزيد من الخير، وهم لا يحزنون على شيء مضى من نصب الدنيا وتعها فقد أذهب الله عنهم بذهاب الدنيا وزوالها، ولا يخافون من شيء آت يؤرقهم ويقض مضجعهم، ممتنون بهذه النعمة على خالقهم جل شأنه قال الله تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ \* الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ

(١) يريد النهار. [لسان العرب ، مادة جون]

(٢) سورة القيامة آية ٢٢ - ٢٣

الْمَقَامَةَ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿١﴾ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢﴾ وَهُمْ مَقِيمُونَ لَا يَظْعَنُونَ، بَاقُونَ خَالِدُونَ، شَبَابٌ غَيْرُ كِبَارٍ فِي السِّنِّ: فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكْحَلِينَ ﴿٣﴾ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. ﴿٤﴾

ويدخل أهل الجنة الجنة أقوياء غير ضعاف، أصحاء غير مرضى فرحين بما هم فيه من النعيم لا يبغون منه بدلا ولا عنه حولا قال الله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿٥﴾ وفي المقابل يكون الكفار على وجوههم البؤس والضر والضعف والشقاء والتعاسة قال الله تعالى ﴿وَوُجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ \* تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ ﴿٦﴾ فهم في آلام وعذاب في الحاضر والمستقبل أضل وأشد قتامة وسوادا قال الله تعالى ﴿وَوُجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ

(١) سورة فاطر آية ٣٤ - ٣٥

(٢) سورة البقرة آية ٦٢

(٣) قال المباركفوري: قوله: ( يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ) أي خلقة ( أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة ) أو للشك من الراوي ، وقد وقع في حديث أبي هريرة عند أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي أبناء ثلاث وثلاثين بالجزم. [تحفة الأحوذى ج ٧ ص ٢١٥]

(٤) سنن الترمذي، كتاب: صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في سن أهل الجنة، حديث رقم: ٢٤٦٨ / مسند الإمام أحمد، مسند معاذ بن جبل، حديث رقم: ٢١٠١٦، ورقم

: ٢١٠٦٧

(٥) سورة الكهف آية ١٠٨

(٦) سورة القيامة آية ٢٤ - ٢٥

عَلَيْهَا غَبْرَةٌ \* تَرَهْقَهَا قَرَّةٌ \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿١﴾ (١) والهموم والغموم تؤثران في الوجه ولون الجسم تأثيرا كبيرا فنجد العانس بادية الشحوب كأنها من سكان القبور، وترى وجوه العوانس ظمآنة عجفاء، مقروفة (٢) مسنونة، (٣) والبشرة شاحبة مخضراء، تتجمع العضون حول زوايا الأفواه، وتحملق العيون، وتسترخي الجفون، وترى اللون شاحبا والجلد خشنا، يابسا لا ينفع فيه استعمال الأدهان والمساحيق بغية المحافظة على بضاضة البشرة، ورفاغتها (٤) وجعلها لامعة غضة بينما تكون المتزوجات لطيفات الجوانح ممشوقات القوام رشيقات القدود منخرطات الجسم كالمسارية أو كخطوط البان أو قضيب الخيزران.

### ٣- هزال الجسم:

السعادة تظهر على وجه المرء كما تظهر على جسده، فالسعيد ترى الاغتباط في وجهه وتحس الانشراح في صدره، والحيوية والصحة في بدنه. وليس معنى ذلك أن كسل هزيل الجسم ضامر البدن، شقيا أو أنه يعيش جملة من المشاكل والهموم، ولكن الغالب على السعداء، أن تظهر آثار السعادة على وجوههم، من نضرة وجه وانشراح صدر وطيبة نفس، كما أنها تظهر على الجسد من وفور صحة والحيط عافية وزيادة وزن وضخامة حجم ولذا نلاحظ أن أوزان النساء المتزوجات أكثر من غير المتزوجات مع العلم أن الرشاقة صارت هوسا عاما لدى النساء في هذا العصر ولذا فهن يتبعن أنواعا

(١) سورة عبس آية ٤٠ - ٤٢

(٢) ضامرة نحيفة

(٣) مخرضة

(٤) لينها [انظر: البحر الرائق في الزهد والرقائق، لأحمد فريد]

معينة من الطعام ويمتنع عن أخرى، ويمارسن رياضات معلومة لديهن، يفعلن كل ذلك خوفاً من الإصابة بالبدانة وفرارا من مداومة السمنة، وهذا من تغير مفاهيم الجمال عند المرأة المعاصرة خلافاً لسابقتها، وكان الرجل العربي بصفة عامة — ولا يزال البعض منهم — يفضل المرأة البدنية على غيرها، وتعلم المرأة ذلك تمام العلم ولذا تتبع بدلا من التخسيس التسمين والتلحيم،<sup>(١)</sup> والتصنع لذلك<sup>(٢)</sup> وتساعد البيئة في هذا الأمر، وقد تستعمل أغذية معينة كالقشدة<sup>(٣)</sup> والفتيت والسويق<sup>(٤)</sup> والعفاوة<sup>(٥)</sup> والرطب بالقثاء حتى

<sup>(١)</sup> التسمين والتلحيم عند العرب يسمى الودن : والوَدْنُ والوِدَانُ: حُسْنُ القيام على العُرُوسِ، وقد وَدَّوْهُا. ابن الأعرابي: أَخَذُوا فِي وِدَانِ العُرُوسِ إِذَا عَمَلُوا بِالسُّوِيقِ وَالتَّرْفَةِ لِلسَّمَنِ. يقال: وَدَنُوهُ وَأَخَذُوا فِي وِدَانِهِ، وأنشد:

بَسِ الْوِدَانَ لَلْفَتَى الْعُرُوسِ      صَرَبْتُكَ بِالْمِنْقَارِ وَالْفُؤُوسِ

[لسان العرب، مادة: ودن]

<sup>(٢)</sup> صُنِعَتِ الجاريةُ، كعُنِي: أَحْسِنَ إِلَيْهَا حَتَّى سَمِنَتْ، كصَنَعَتْ، بالضم، تَصْنِيعًا، وَصَنَعَ الجاريةَ، بالتشديد، أي: أَحْسِنَ إِلَيْهَا وَسَمَّنَهَا، لأنَّ تَصْنِيعَ الجاريةِ لا يكونُ إِلا بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ وَعِلَاجٍ. [القاموس الخيط، باب العين. فَصْلُ الصَّادِ]

<sup>(٣)</sup> القِشْدَةُ هي الزبدة الرقيقة. والقِشْدَةُ أنك تذيب الزبدة فإذا نضجت أفرغتها وتركت في القدر منها شيئاً في أسفلها ثم تصب عليه لبناً محضاً قدر ما تريد، فإذا نَضِجَ اللبنُ صَبْتَهُ عَلَيْهِ سَمناً، بعد ذلك، تسمن به الجوارى. والمحفوظ عن الثقات القِشْدَةُ، بالدال، ولعل الذال فيها لغة لم نعرفها. [لسان العرب، مادة: قشد]

<sup>(٤)</sup> قال الشاعر [لسان العرب، مادة بدد، ج ٤ ص ٣٣٨]:

جارية أعظمها أجمها      قد سمنتها بالسويق أمها

<sup>(٥)</sup> العِفاوَةُ: الشَّيْءُ يُرْفَعُ مِنَ الطَّعَامِ لِلجاريةِ تُسَمَّنُ فَتَوَثَّرُ بِهِ؛ قال الكمي [لسان العرب، مادة: عفا]:

وظَلَّ غَلامُ الحَيِّ طَيَّانَ سَاجِباً      وَكَاعِبُهُمْ ذَاتُ العِفاوَةِ اسْتَبَّ

تسمن، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت أرادت أمي أن تُسَمَّنِي لِذُخُولِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَقْبَلْ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ مِمَّا تُرِيدُ حَتَّى أَطْعَمْتَنِي الْقِتَاءَ<sup>(١)</sup> بِالرُّطْبِ فَسَمِنْتُ عَلَيْهِ كَأَحْسَنِ السَّمَنِ.<sup>(٢)</sup>

مع أنه بصفة عامة فالممدوح في المرأة العربية قلة الأكل وعدم الشراهة، مدح المرأة بقلة الطعام وأن تكون المرأة مجدا: والمجد نحو من نصف الشيع؛ وقال أبو حية يصف امرأة:

وَلَيْسَتْ بِمَا جِدَّةٍ لِلطَّعَامِ وَلَا الشَّرَابِ

أي ليست بكثيرة الطعام ولا الشراب.<sup>(٣)</sup>

والهموم سبب لضعف البدن وهزال الجسم قال الشاعر:

والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي وبهرم

ونقصد باهزال، الهزال المفرط وبروز العظام وتوتتها وظهور رواهش اليدين وعروق القدمين وتواء عظام الوجه، وأن تكون العانس كأنها من الناجين من المجاعات.

١- تتحدد الوجه:

خَدَّدَ لِحْمَهُ وَتَخَدَّدَ: هُزِلَ وَنَقَصَ؛ وَقِيلَ: اتَّخَدَّدَ أَنْ يَضْطَرِبَ اللَّحْمُ مِنَ الْهَزَالِ. وَالتَّخَدَّدُ: الْمَهْزُولُ. رَجُلٌ مُتَخَدَّدٌ: مَهْزُولٌ، قَلِيلُ اللَّحْمِ. وَقَدْ خَدَّدَ لِحْمَهُ وَتَخَدَّدَ أَي تَشَجَّجَ. وَامْرَأَةٌ مُتَخَدَّدَةٌ إِذَا نَقَصَ جِسْمُهَا وَهِيَ سَمِينَةٌ.<sup>(٤)</sup> والتحدد هو اضطراب الجلد

(١) القتاء بكسر القاف اسم لما يسميه الناس الخيار وبعض الناس يطلق القتاء على نوع يشبه الخيار.

(٢) سنن أبي داود، كتاب: الطب، باب: في السمنة، حديث رقم: ٣٤٠٤/ سنن ابن ماجه كتاب

الأطعمة، باب: القتاء والرطب بجمعان، حديث رقم: ٣٣١٥

(٣) لسان العرب، مادة: مجد

(٤) لسان العرب مادة: خدد

واسترخاء اللحم وهو أن يصير فيه خدود ويقال: قد خدد جلده وقد نغض وقد انخست كل ذلك إذا تكسّر، قال طرفة بن العبد البكري:

ووجه كأن الشمس حلت رداءها عليه نقي اللون لم يتحدد

أي لم يضطرب والتحدد مشتق من الخد لأنه يضطرب عند الأكل. <sup>(١)</sup> والتحدد يحدث في جسم الإنسان ووجهه لعوامل عدة منها :

- |                                    |           |
|------------------------------------|-----------|
| أ - الكبر                          | ب - المرض |
| ج - الهم                           | د - الخوف |
| هـ - السهر                         | و - الحزن |
| ز - التعب والإرهاق المتواصل        | ح - الجوع |
| ط - الهزال وانحسار اللحم بعد السمن |           |

وترى وجوه العوانس متحددة فالعانس بنت الثلاثين تكون صورة وجهها مماثلة لامرأة متزوجة في الأربعين أو الخامسة والأربعين من العمر، فوجه العانس يكون شاحبا شحوب الموتى متخددا كتخددا امرأة بلغت من العمر عتيا بينما تكون المرأة المتزوجة ناضرة الوجه ظاهر السرور، ويكون هذا بسبب الحزن على ما مضى والخوف مما سيأتي مما سبب لمن سهرت نرج عنه هذا التحدد.

هـ ذهاب البكارة :

غشاء البكارة غشاء رقيق يغطي قبل الفتاة العذراء <sup>(١)</sup> وتكون به ثقب تمكّن من نزول البول ودم الحيض، وهذا الغشاء يزول بأول جماع محدثا صوت فرقة مسموعا للزوج والزوجة مع نزول قطرات دم تتفاوت قلة وكثرة من فتاة لأخرى.

<sup>(١)</sup> انظر شرح المعلقة العشر ص ١٤٠ / شرح السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري ص ١٤٧

وتوجد أنواع من أغشية البكارة لا تحدث صوتا عند الجماع تسمى الأغشية المطاطية وهي تزول بقدم أول مولود للمرأة. ولذا يظن كثير من الأزواج أن عدم حدوث صوت أو نزول دم سببه تفريط الفتاة في نفسها، ولعل السبب أن تكون بكارة هذه الفتاة من هذا النوع، وهذا يمكن إثباته طبيا.

وفي المرأة البالغة تكون البويضة جاهزة كل شهر للإخصاب فإن وجدت تلقيحا وإلا نزلت في شكل دم، كما أن هذا الغشاء مع طول الزمن واستمرار غنوسة الفتاة وعدم ظفرها بزوج يكون بين احتمالين:

— أن يزداد صلابة وهذا هو الأعم الأشهر عند معظم الفتيات ولذا تعاني الفتاة غير المتزوجة أو العانس في نزول دم الحيض أكثر من الفتاة المتزوجة. وإن تزوجت الفتاة العانس بعد طول انتظار وتقدم سن فإن افتضاضها لزوجها يكون أصعب بكثير من الفتاة صغيرة السن نسبة لصلابة غشاء البكارة.

— أن تتسع فتحات غشاء البكارة وثقوبه أو يذهب بالكلية لأن دم الحيض يكون أحيانا كثيفا جدا<sup>(٢)</sup> وأحيانا في شكل قطع دم تؤثر في هذا الغشاء وتزيد من اتساعه وقد تذهب به وهذا نادر الحدوث وهو من الأشياء التي يسئل عنها أهل العلم والقضاة والأطباء.

(١) قال ابن الأثير: العذراء: الجارية التي لم يمسه رجل، وهي البكر، والذي يفتضها أبو عذرها وأبو عذرتها. والعذرة: ما للبكر من الالتخام قبل الافتضاض. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:

{عذر}

(٢) روضة الطالبين ج ٧ ص ٥٤ / بدائع الصنائع ج ٢ ص ٢٤٤

سئل الشعبي عن رجل دخل بامرأة على أمها بكر ، فقال: لم أجدها عذراء ، فقال: لا شيء عليه لأن العذرة قد تذهبها الحيضة والثوبه وطول التعنيس.<sup>(١)</sup>  
وعن حجاج عن عطاء قال: سألت عن الرجل يقول لامرأته لم أجذك عذراء قال: ليس عليه شيء إن العذرة تذهب من الوثبة والمرض وطول التعنيس.<sup>(٢)</sup>  
وعن معمر عن الحكم بن أبان عن سالم قال: سألت عن الرجل يقول لامرأته: لم أجذك عذراء قال: لا بأس العذرة تذهبها الوثبة والشيء.<sup>(٣)</sup>

### ٦- شيب الرأس:

الإنسان في مراحل حياته يمر بمراحل وأطوار من طفولة وصبا وكهولة وشيخوخة، وسواد الشعر من علامات الشباب وبياضه من علامات الشيخوخة، وقد يأتي الشيب للإنسان مبكرا فقد يهاجم الشيب المرء قد أوانه ويحط رأسه، ويرى القستير ويأتيه النذير ولا يكون ذلك بسبب إغذار الله<sup>(٤)</sup> له وبلوغه الستين<sup>(٥)</sup> ولا بسبب قراءة

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عذر} ومادة: {عنس} / لسان العرب ، مادة : عذر

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ، في الرجل يقول لامرأته لم أجذك عذراء، حديث

رقم: ٢٨٣٠٧

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج ٥ ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ، في الرجل يقول لامرأته لم أجذك عذراء، حديث

رقم: ٢٨٣٠٨

(٤) قال ابن الأثير: لقد أعذر الله من بلغ العمر ستين سنة أي لم يبق فيه موضعاً للاعتذار حيث أمهله

طول المدّة ولم يعتذر. يقال: أعذر الرجل إذا بلغ أقصى الغاية من العذر. وقد يكون أعذر بمعنى

عذر. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عذر}]

(٥) قال البخاري رحمه الله تعالى: باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه في العمر لقوله ﴿أولم

نعمركم ما تذكرون فيه من تذكروا وجاءكم النذير﴾ يعني الشيب. [صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب

سورة هود وأحواتها التي شيت النبي صلى الله عليه وسلم كما جاء: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شَبِتَ <sup>(١)</sup> قَالَ شَبَيْتَنِي هُوْدٌ وَالْوَأَقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ: <sup>(٢)</sup>

ولكن يكون شبيه بسبب عوامل عدة منها:

— الخوف : قال الله تعالى ﴿فَكَيْفَ تَقْوَنَ إِن كُفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ

شِبَابًا﴾ <sup>(٣)</sup>

— تقدم العمر : قال الصلتان العبدى :

مَنْ بَلَغَ سِتِينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْدَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ لِقَوْلِهِ ﴿أَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا تَنْذِكُرْ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكَ

النَّذِيرُ﴾ [

<sup>(١)</sup> قال المباركفوري: قوله: ( قد شبت ) من الشيب هو بياض الشعر. قال القاري: أي ظهر عليك آثار الضعف قبل أوان الكبر وليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الأبيض عليه لما روى الترمذي عن أنس قال ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء ( شيبتي ) من التشيب . وذلك لما في هذه السور من أهوال يوم القيامة . والمثلاث السوازل بالأمم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شبت قبل أوانه. [ تحفة الأحوذى ج ٩ ص ١٣١ ]

<sup>(٢)</sup> سنن الترمذي: كتاب : تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومن سورة الواقعة، حديث رقم:

٣٢١٩

<sup>(٣)</sup> سورة المزمل آية ١٧

أشاب الصغير وأفنى الكبير      كرور الغداة ومر العشي<sup>(١)</sup>

— المهموم والانفعال: قال السليك بن السليكة موضحا سبب شبه وأنه رؤية  
امتهان خالاته وعجزه عن تخليصهن:

أشاب الرأس أني كل يوم      أرى لي خالة وسط الرجال

عز عليّ أن يلقين ضيما      ويعجز عن تخلصهن مالي<sup>(٢)</sup>

وقد صور أحد الأعراب وكان له أولاد، المهموم التي لزمته والديون والأطفال الذين  
أحنوا ظهره، حتى تمنى التخلص منهم وفراقهم، رغم أنه كلف في زواج أمهم مالا من  
مهر وجهاز ووليمة ونحوها، فقال:

الناس يُعطون أموالا وميسرة      وأنت أعطيتني يا رب صيانا

خذهم إليك فكل صار في خلق      وأنت أعطيته يا رب عريانا

قد كنت كلفتهم في أمهم ثمنا      فخذهم عاجلا يا رب مجاناً<sup>(٣)</sup>

بما أن الغنوسة من أعظم أسباب المهموم على الفتيات فإنها تؤثر فيهن فتشيب رؤوسهن  
ويبيض سواد شعورهن ويسود بياض وجوههن وتشحب ألوانهن وتسحنى  
ظهورهن. وتحرص النساء بصفة عامة حرصا شديدا على إخفاء الشيب وتغييره فيستعملن  
الأصباغ السوداء والحناء وغيرها لإخفاء آثار الشيب لتمام معرفة النساء بعزوف الرجال

(١) الشوارد، لعبد الله بن محمد خميس، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٩٤هـ —

١٩٧٤م، ج ٢ ص ٦٢٣

(٢) خزانة الأدب ج ٣ ص ١٢٨ / الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص ٥٠

(٣) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٣٢٦

وازورارهم عن ذوات الشيب من النساء وزهدهم فيهن مع علم الرجال ذي الشيب أن فيهم مستمتعا للنساء، قال دعبل بن علي الخزاعي:

تعجبت إذا رأيت شيبى فقلت لها      لا تعجبي من يطل عمره به يشب  
شيب الرجال لهم زين ومكرمة      وشيبكن لكن الويل فاكتبني  
فينالكن وإن شيب بدا أرب      وليس فيكن بعد الشيب من أرب<sup>(١)</sup>  
٧- مشاكل وتغيرات صحية :

عن المشاكل والتغيرات الصحية الناجمة عن تقدم العمر وتأخير الزواج توضح د. فحيرة بنت إبراهيم الجامع (أمراض نساء وتوليد) أن المرأة يحدث لها عدم التوازن إذا ما اقتربت من سن اليأس، فإذا لم يدركها الحظ بالزواج والإنجاب تبدأ الحالة النفسية عندها بالاضطراب مما يترتب عليه إصابتها بالاكتئاب والقلق النفسي.

كما أن نسبة الخصوبة عند المرأة تصل إلى القمة في سن الخامسة والعشرين، وبعد ذلك تقل تدريجياً حتى سن اليأس ونتيجة للاضطرابات الهرمونية التي تحدث في سن الإنجاب المتأخر تصبح نسبة الحمل في تناقص مستمر، وبذلك تزيد نسبة العقم عند المرأة كلما اقتربت من سن الأربعين.

وتكثر الأورام الليفية في النساء ما بين عمر ٣٠ إلى ٤٥ سنة، فإذا وصلت المرأة إلى هذا العمر ولم تنجب فإن هناك علاقة بنسبة بسيطة بين هذا الورم وعملية الإنجاب تتراوح بين ٢:١٠ بالمائة، كما أن نسبة الإجهاض التلقائي والولادة المبكرة، وتعسر الولادة مصاحبة لهذا الورم فإذا ما استؤصل كان له تأثير سلبي في عملية الحمل والولادة. فكل امرأة تحمل بعد سن الخامسة والثلاثين لأول مرة تعد في سن الإنجاب المتأخر، كما

(١) بمجلة المجالس لابن عبد البر القسم الثاني ص ٥٠

أن المرأة تكبر في السن، وتكبر معها البويضات مما يؤدي إلى زيادة نسبة الأطفال المغوليين، ولا سيما بعد الأربعين ففي سن العشرين طفل واحد بين كل ١٩٢٣ طفلاً - وفي سن الخامسة والعشرين طفل بين كل ٣٦٥، وفي سن الأربعين طفل بين كل ١٠٩ أطفال، وفي سن الخامسة والأربعين طفل بين كل ٣٢ طفلاً، ويتزايد الإجهاض التلقائي مع زيادة عمر المرأة، إضافة لحدوث الحمل العنقودي كما تزيد نسبة الولادة القيصرية بمعدل ٤ مرات عند الأمهات المتقدمات في السن عن مثيلتهن في سن الإنجاب المبكر. (١)

وتقدم لنا الباحثة الإماراتية نورة عبيد الزعابي الآثار الطبية لتأخر سن الزواج لدى البنات كالتالي:

تنخفض قدرة المرأة بعد سن الثلاثين على الحمل والإخصاب.

ترداد احتمالات الإجهاض.

بعد سن الأربعين تصاب البويضات بالشيخوخة فيؤدي الحمل إلى عيوب في الانقسام والتكوين فتظهر العيوب الخلقية.

الحمل بعد سن الأربعين يحتاج لرعاية مكثفة لصحة الحامل لأن هناك أمراضاً قد تصادف الحامل في هذا العمر مثل ارتفاع ضغط الدم والسكري.

تؤكد الأبحاث الطبية أن السيدات اللائي ينجبن في سن مبكرة يكن أقل قابلية للإصابة بسرطان الثدي.

(١) انظر موقع العانس على الإنترنت، مقال : (الغنوسة، أسباب وملايسات) للشيخ عقل بن عبد

تؤكد الأبحاث أن مشكلات الحمل والولادة أقل ما تكون في العشرينات وترتفع  
باطراد مع زيادة تقدم سن المرأة.<sup>(١)</sup>

(١) انظر موقع العانس على الإنترنت / أسرار في حياة العانسات بشيئة العراقي

## المبحث الثاني الآثار النفسية للغنوسة

- ١- الحزن والاكتئاب
- ٢- القلق والسهر
- ٣- الشك وسوء الظن والتأويل
- ٤- نظرات المجتمع إلى العانس
- ٥- نشوء أمراض الجسد والبغض
- ٦- الانتحار
- ٧- الإغراق في الأماني والإسقاط عما في دواخل النفس
- ٨- الخداع والتفكير وإخفاء العمر الحقيقي
- ٩- الذهاب إلى الكهنة والعرافين
- ١٠- انقوع في المخالفات الشرعية
- ١١- الشرود الذهني وادمان الفكر
- ١٢- اليأس والإحباط

## المبحث الثاني

## الآثار النفسية للغنوسة

يكاد علماء النفس والاجتماع يجمعون على أن تداعيات الغنوسة لا تتوقف على الفتاة وحدها، وإنما تمتد لتشمل باقي أفراد الأسرة جميعا، فالأب - مثلا - قد ينساق وراء نصائح زوجته بالبحث عن عريس لابنته بين كل المحيطين به والمتعاملين معه، فيلجأ إلى عرض ابنته بطرق غير مباشرة على بعض زملائه أو أبنائهم، وإذا فشل في ذلك فإنه يلجأ إلى أساليب لا شعورية تخفف عنه، كأن يبلغ الآخرين مثلا بأن ابنته قد تقدم لها الكثيرون ولكنه رفض - أو رفضت هي - لأسباب متعددة، وربما تعايش مع هذا الكذب حتى يعتقد بأن ما يرويه من أكاذيب هو الحقيقة بالفعل، وهو ما يقوده في نهاية المطاف إلى كثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تمتد هذه التداعيات لتشمل علاقة الأب بابنته العانس، فينهج في تعامله معها طريقة من بين ثلاث طرق، فإما التفاوضي عن هذه المشكلة، وترديد عبارات مثل "القسمة والنصيب" و"ربنا عايز كده"، وإما التشدد والعنف في تعامله مع ابنته وتشديد الرقابة عليها، لأنه يظن - لا شعوريا - أن في ابنته شيئا ما خطأ جعل الآخرين يعزفون عن التقدم إليها، وإما ترك الحبل لها على الغارب بدعوى أن كثرة خروج ابنته ورؤية الآخرين لها قد يدفع أحد الشباب إلى الاقتران بها. وبينما يكون هذا حال الأب، فإن الأم تعيش هذه المشكلة بكامل طاقتها وعصبيتها وقلقها واكتئابها، فهي كأم تشعر بعمق أحاسيس ابنتها، وتعيش على حلم أن ترى ابنتها في عش الزوجية وأن ترى أحفادها، ومن ثم فقد تتأهب حالات من الاكتئاب، وقد تلجأ إلى السحرة والدجالين ظنا منها أن ابنتها "معمول لها عمل"، وقد تلجأ إلى الدلالات لتعرض عليهن مشكلة ابنتها، مع وعدهن بمكافأة سخية إذا أحضرن لابنتها عريس المستقبل غير أن الأم في بعض الأحيان

قد يكون إيمانها قويا فتقوم بالتخفيف عن ابنتها وحثها على الرضا بقضاء الله. أما الأخت الصغرى، فلا شك أن مشاعرها تكون مبهمة وغامضة، وقد تهى نفسها لأن تكون في الوضع ذاته وتعيش نفس المأساة - أي لا تتزوج مثل أختها - وقد تتفنن في ابتكار طرق مختلفة لجذب أنظار الشباب والدخول في علاقات آثمة مع بعضهم، ظنا منها أنه إذا وقع المخطور فإن هذا يضمن لها الفوز بعريس المستقبل وألا تواجه نفس مصير شقيقتها بينما إذا كانت شقيقات الفتاة متزوجات فإنهن يشعرن بالأسى تجاه أختهن، وفي الوقت ذاته يشعرن أيضا بالنقص أمام أزواجهن، خاصة إذا سألهن عن سر عدم زواج أختهن أو حملت أسئلتهن تلميحات حول سلوك الفتاة وطباعها. ومن البدهي بطبيعة الحال أن تكون الفتاة نفسها أكثر أفراد الأسرة معاناة من مضاعفات الغنوسة، وعلى رأسها المضاعفات الجسدية، فعلى مستوى الجسد تشعر الفتاة العانس بألم في أسفل البطن، نظرا لأن غشاء البكارة يمنع في بعض الحالات خروج دم الحيض بسهولة فضلا عن ارتفاع نسبة الإصابة بسرطان الثدي لدي العوانس كما تشير بعض الدراسات التي أجريت مؤخرا. وتمتد تداعيات الغنوسة لتشمل قائمة طويلة من الأمراض النفسية، أقلها الشعور بالاضطرابات والقلق والخوف من المستقبل وعدم الاستقرار أو راحة البال ففي المجتمعات العربية تحديدا يعد الزواج " سترة " للفتاة وحفظا لكرامة أسرتها، ومن ثم فإن تقدمها في السن دون زواج قد يثير العديد من الأقاويل التي تمس سمعة الفتاة وسمعة الأسرة، من قبيل أن البنت "بارت" أو أنها غير صالحة للزواج، فتشعر بالدونية وبأنها أقل من الأخريات، وبخاصة عندما تصرخ بداخلها نداءات الأنوثة والأمومة، وهو ما قد يدخلها في دوامات من القلق والاكتئاب واليأس والتشاؤم من الحياة وربما حاولت الفتاة التغلب على هذه الدوامات باللجوء إلى توثيق صلتها بالله أكثر، غير أنها قد تغلو دينيا فتمارس دور المفتي في التحليل والتحريم. وقد تسلك الفتاة العانس طريقا مغايرا تماما

للهراب من دوامات القلق والياس هذه، فتلجأ إلى الابتذال والسفور غير الطبيعي في ملابسها وهندامها بطريقة تثير غرائز الشباب، رغبة في إثبات الذات والشعور بأنها مرغوبة مثل باقي أترابها، بل وربما سعت في الوقت ذاته إلى كثرة الاختلاط بالشباب في الأماكن العامة وفي العمل والأسواق تحت زعم ما يسمى بالصدافة. ورويدا رويدا قد يتحول هذا الابتذال والسفور إلى انحلال خلقي، فتندفع الفتاة إلى الانحراف وإقامة علاقات جنسية سرية وعابرة لإشباع رغباتها خارج مؤسسة الزواج، أو إلى ما يسمى بالزواج العرفي أو السري، بيد أنها رغم ذلك تظل في كلتا الحالتين محرومة من مشاعر الأمومة ومن الإحساس بالأمان. وفي الوقت الذي أعلنت فيه وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية ارتفاع معدلات الزواج العرفي بين طلبة الجامعات، فقد أكدت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر وجود أكثر من ١٥٠٠٠ دعوى لإثبات بنوة المواليد من زواج عرفي أو زنا، والزيادة المطردة في أعداد اللقطاء الذين يعثر عليهم أمام المساجد أو المساكن أو في صناديق القمامة، وعودة ظاهرة قتل المواليد من سفاح، فضلا عن تفشي الانحلال في المدن الكبرى وربما كان من نافلة القول هنا أن نشير إلى أن الانحلال الخلقي والزواج العرفي ليس الطريق الحتمي لهروب الفتاة العانس من دوامات القلق والخوف والاكتئاب، فمن البدهي أن ذلك يرتبط في نهاية المطاف بمدى تدينها وبتقافتها وتعليمها، بالإضافة إلى طبيعة شخصيتها بالقطع، فإذا كانت الفتاة ذات شخصية ضعيفة فإن الانحلال والزواج العرفي يكونان أقصر وأسهل الطرق التي ترتمي الفتاة في أحضانها وتسلم لها قيادها أما إذا كانت الفتاة تتمتع بشخصية قوية فإنها تئأ بنفسها عن ذلك، ولكنها في الوقت نفسه قد تضطر — رغبة في التخلص من شبح العنوسة — إلى القبول بأي زوج يتقدم إليها، حتى لو كان اختيارها اختيارا غير متكافئ ( تشير إحصائيات وزارة العدل المصرية — مثلا — إلى زواج نحو ٢٠٠ ألف فتاة مصرية

من أثرياء أجناب كبار السن ) ، وهو ما يفضي في النهاية إلى طلاق مؤلم ، سواء أكان طلاقاً محسوساً أو معنوياً وكم من زوجات وأزواج يجمعهما بيت واحد إلا أنهما منفصلان نفسياً ومعنوياً !! ويأتي ارتفاع ظاهرة الزواج من أجنبيات ليشكل بعداً آخر من أبعاد مشكلة العنوسة ، إذ بدأت هذه الظاهرة تغزو أغلب المجتمعات العربية بكثافة شديدة ، لدرجة أن دراسة صادرة عن وزارة الداخلية السعودية قد طالبت بمنع زواج الشبان السعوديين من أجنبيات بعد أن بلغ عدد الزوجات الأجنبيات اللاتي حصلن على الجنسية السعودية خلال السنوات الخمس الأخيرة نحو تسعة آلاف زوجة ، مشددة على أن تفشي هذه الظاهرة يؤثر سلباً على الأطفال وعلى استقرار الأسرة في حالة حدوث خلاف أو طلاق بينما كشفت دراسة أخرى لوزارة العدل المصرية عن أن هناك اتجاهاً يسود بين الشباب المصريين للارتباط بزوجات من روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق وأوروبا الشرقية . كل هذه التداعيات السلبية التي أفرزها تفشي ظاهرة العنوسة في المجتمعات العربية ترسم العديد من علامات الاستفهام العريضة ، وتطرح السؤال الذي يفرض نفسه بقوة : إذن ما الحل ؟ وما هو دور المؤسسات الاجتماعية العربية - الحكومية والخاصة - في معالجة ظاهرة العنوسة؟<sup>(١)</sup>

بعد هذه المقدمة المستفيضة التي نسأل أن يثيب كاتبها خيراً يمكن حصر بعض

الآثار النفسية في الآتي:

(١) مداخلة للمشارك عمرو سالم بعنوان عودة لازمة للعنوسة. على موقع: إسلام أون لاين

## ١- الحزن والاكتئاب :

راحة البال وخلوه من المنغصات من النعم التي أنعم الله عز وجل بها على أهل الجنة قال الله تعالى ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهِمْ﴾<sup>(١)</sup> كما أن من نعم الله عز وجل عليهم أن أذهب عنهم الحزن، قال تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾<sup>(٢)</sup> والهم والغم والحزن من أعظم أسباب الكآبة<sup>(٣)</sup> قال عمر بن أبي ربيعة :

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم من الحزن تذرني عبرة تتحدر<sup>(٤)</sup>  
والكآبة لا تقتصر على صاحبها والمكتوي بناها فحسب بل تتعدى آثارها إلى غيره من الأهل والأحباب ، قال هديبة بن خشرم العذري بعد أن حبس وحكم عليه بالقتل وحزن أهله عليه واكتأبوا وبخاصة ابن عمه أبو نمير، فقال معزيا له وهم :

(١) سورة محمد آية ٥

(٢) سورة فاطر آية ٣٤

(٣) الكآبة بالمد سوء الحال والانكسار من الحزن وقد كئب من باب سلم وكآبة أيضا بوزن رهبة فهو

كئيب وامرأة كئيبية وكأباء بالمد. [ مختار الصحاح: للرازي باب الكاف ص ٥٨٦ ]

(٤) الأغاني ج ١ ص ٧٩ - ٨٠ (طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي)

يؤرقني اكتئاب أبي نمير فقلبي من كآبته كئيب<sup>(١)</sup>  
والكآبة موت دماغي لأنها تشل حركة الإنسان وفكره ، فلا يستطيع أن يكون سوي  
التفكير، فيكون صاحبها ميتا بين الناس، قال صالح بن عبد القدوس البصري:  
ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء  
إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء<sup>(٢)</sup>  
وتتسبب الكآبة في مرض الاكتئاب وهو مرض خطير وداء عضال يخشى بأسه ، لشبيهه  
بالجنون.

والعنوسة من أعظم أسباب الكآبة عند الفتيات فترى العانس كئيبه كاسفة البال  
دائمة التفكير مبللة الخواطر.

## ٢- القلق والسهر :

النوم بالليل آية من آيات الله تعالى نبه سبحانه وتعالى عباده إليها ممتنا بها عليهم  
فقال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> فهو سبات يرتاح فيه الناس ويسكنون فيه من عناء يومهم قال

(١) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٩٣ / شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق  
شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر / الطبعة الرابعة عشرة جمادى

الأولى ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٢٨

(٢) تاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٣

(٣) سورة الروم آية ٢٣

الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾<sup>(١)</sup> وقال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾<sup>(٢)</sup> وترك النوم يكون لأسباب عدة:

— أحيانا يكون السهر للتهجد، قال الله تعالى ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ

الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ<sup>(٤)</sup>

— أحيانا يكون ترك النوم للمرض، لأن أعضاء الجسم إذا اشتكى منها عضو

تأثر له البقية: فَعَنْ التُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى.<sup>(٥)</sup>

— أحيانا ترك النوم يكون للعشق، والتتيم بالحبوب والتفكير في محاسنه، والتأمل

في صفاته، قال المتبي:

(١) سورة عم آية ١٠ - ١١

(٢) سورة الفرقان آية ٤٧

(٣) سورة السجدة آية ١٦

(٤) صحيح البخاري: كتاب الجمعة، باب: من تعار من الليل فضلى، حديث رقم: ١٠٨٧

(٥) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٥٥٥٢/صحيح

مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم:

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل

بين لي البدر الذي لا أريده ويخفين بدرا ما إليه وصول<sup>(١)</sup>

— وقد يكون ترك النوم للانشغال بالعلم والبحث والتنقيب بين الكتب ، وقد يبلغ استلذاذ صاحب العلم بسهره في حل معضلات العلم والاطلاع والتنقيب في بطون الكتب مبلغا يفوق سهر استلذاذ صاحب اللهو بلهوه ، بل يستغرب مدمن السهر من أجل العلم نوم الآخرين مع رغبتهم في منافسة الساهرين ، وقد عكس هذا الزمخشري بقوله :

سهرى لتنقيح العلوم أذلي من وصل غانية وطيب عناق

أأبيت سهران الدجى وتببته نوما وتبغى بعد ذاك لحاقي<sup>(٢)</sup>

— كما أن ترك النوم يكون في أحيان آخر للهموم والانشغال بأمر من الأمور التي أهت هذا الشخص فأقضت مضجعه وأرقت ليله، وهذه صفة الزعماء كالزعيم الذي يهمله أمر رعيته، والوالي الذي يعنيه أمر من ولوه، قال لقيط بن يعمر الإيادي يصف صفات الزعيم المرتقب لقبيلة إياد الذي يجب أن يولوه في حربهم ضد فارس آخذين من الصفات التي ذكرها ما يتعلق بالسهر وترك النوم تاركين غيرها:

وقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضلعا

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه هم يكاد حشاه يقطع الضلعا

مسهد النوم تعنيه ثغوركم يروم منها للأعداء مضلعا<sup>(٣)</sup>

(١) قرى الضيف ج ١ ص ١٨٥

(٢) الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٣٠٩-٣١٠

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج ١ ص ٢٠٠ - ٢٠١

هذا وقد يتخذ بعضهم الليل مطية لقضاء مآربه، ودرعا ومجنا يتقي به الوقوع في

سوء ما يعمل.<sup>(١)</sup>

وترك النوم في الجملة علامة من علامات التعب والعلل التي تشكى للآخرين ،

قال بعضهم :

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل<sup>(٢)</sup>

وبصفة عامة فقلة النوم من الصفات التي يتمدح بها العرب،<sup>(٣)</sup> وتوجد أدعية في

السنة لجلب النوم ودرء السهر.

ومن آثار العنوسة ، أن العانس تسهر سهرا كثيرا، ويتجافى جنبها عن مضجعها

ليلا طويلا، وتكون في أحلام يقظة سوداء، فتفكر في شؤمها ونكدتها، وسوء طالعها.

وعدم حظها، وأنها لم تنزوج إلى الآن، وتتساءل بينها وبين نفسها عدة تساؤلات: هل

سيكتب لها الزواج؟ ومن هو الذي سيتزوج بها؟ ومتى يكون ذلك؟ ومن سيرضى بها بعد

هذا العمر؟ وتستمر معها هذه الأفكار السوداء، والنظرة القائمة، التي تكتنفها السحب

القائمة، تأخذ منها هذه الأفكار فترة طويلة من الليل، ولو غلب النوم هذه الفتاة فقطع

عليها هذه الأفكار السوداء المظلمة، فإن أفكارها هذه تتحول إلى أحلام وتواصل معها

إلى بزوغ الفجر، ومن ثم فهي تنام نواما قلقا مضطربا، مليئا بالهواجس والأفكار المزعجة،

(١) قيل: الليل أخفى للويل [مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٨٦]

(٢) دلائل الأعجاز للجرجاني ج ١ ص ١٨٤ / الإيضاح في علوم البلاغة خ ١ ص ١٥٣

(٣) قال ابن منظور: رجل سُهِدَ: قليلُ النوم؛ قال أبو كبير الهذلي [لسان العرب ، مادة : سهد]:

فَأَتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفُؤَادِ مَبْطَنًا سُهِدًا، إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهَوَجْلِ

فهي تترآى لها مشاكلها في نومها، في صور محزنة، وأشكال مخيفة مفزعة، لأنها مشغولة بما في يقظتها.<sup>(١)</sup>

ولو علمت هذه الفتاة أن أمر المؤمن كله خير في سرائه وضرائه وأفراحه وأحزانه لكفاها ذلك وقرت عينها، فعن صُهَيْبٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَسَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.<sup>(٢)</sup>

### ٢- الشك وسوء الظن والتأويل :

تعاني العوانس بصفة عامة من الشك في تصرفات الآخرين، وسوء الظن بهم، وتفسر ما يصدر منهم من أفعال، وتأويل ما يتفوهون به من أقوال تفسيرا سيئا بعيدا عن الحقيقة، لم يخطر ببال من صدر منه الفعل أو بدر منه القول. فهي تظن أن كل نظرة نحوها هي نظرة شك وارتياب، وأن أي ضحكة صدرت من آخر المقصود منها التهكم والسخرية منها، وأن كل كلام ونجوى بين اثنين، هي المعنية والمراد به، فقصد هؤلاء المتناجين المتهايسين الضاحكين، السخرية منها والاستهزاء بها والانتقاص من قدرها فهي عانس، وهي تريكة<sup>(٣)</sup> وهي مقلمة،<sup>(٤)</sup> ويكفيها ذلك خزيا وعارا ونقصا. وتبني العانس

(١) انظر أنواع الرؤى والأحلام في: المخالقات الشرعية في الأشعار العربية للمؤلف

(٢) صحيح مسلم: كتاب الرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: ٥٣١٨

(٣) التريكة: التي تُترك فلا تتزوج، ولا يقال ذلك للذكر، قال ابن الأعرابي: ترك الرجل إذا تزوج

بالتريكة وهي العانس في بيت أبيها. [لسان العرب، مادة: ترك]

(٤) القلم: طول أئمة المرأة. وامرأة مقلمة أي أئيم. قال ابن الأعرابي وخطب رجل إلى نسوة فلم يُزوّجنه، فقال: أظنكن مقلّمات أي ليس لكن رجل ولا أحد يدفع عنكن. ابن الأعرابي: القلمة

الحقائق على الأوهام، وتجاهر الآخرين بالعداوة، وتقابلهم بالغلظة في القول والفظاظة في الفعل، نتيجة التفسيرات الخاطئة والظنون الكاذبة، والوشايات المغرضة،<sup>(١)</sup> وقد تتشابه مع لداثها وبنات جلدتها بالأيدي، فتخدش أجسامهن، وتخمش وجوههن، وتخدش حدودهن، وتنتف شعورهن، لا لشيء سوى أن هنذا ودعدا صادف ضحكهما مرورها، فظنتهما يعنياها بالأمر،<sup>(٢)</sup> ويضحكان ويستخران منها، وواقع الأمر أنهما يضحكان في أمر آخر خلاف ما تصورته هذه العانس، ولكنها أخطأت سمعا فأخطأت إجابة.<sup>(٣)</sup> وساءت فعلا.

#### ٤- نظرات المجتمع إلى العانس:

العوانس قطاع عريض من قطاعات المجتمع، فعلى المجتمع التعامل معهن بحیطة وحذر، وذلك بعدم جرح مشاعرهن واعتبارهن عبأ عليه وكلفة زائدة على أسرهن،

العَرَاب من الرجال، الواحد قَالِمٌ. ونساء مَقْلَمَات: بغير أزواج. [النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، مادة: {قلم}/ لسان العرب، مادة: قلم].  
(١) انظر سوء الظن في الخلافات بين الأقارب

(٢) قال الله تعالى ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة المنافقون آية ٤)

(٣) قيل: أساء سَمْعاً فأساء جَابَةً. قال المفضل: إن أول من قال ذلك سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي، وكان تزوج صفية بنت أبي جهل بن هشام، فولدت له أنس بن سهيل، فخرج معه ذات يوم وقد خرج وجهه، يريد التحتي، فوقفا بجزورة مكة، فأقبل الأخنس بن شريق الثقفي، فقال: من هذا؟ قال سهيل: ابني، قال الأخنس: حياك الله يا فتى، قال: لا والله ما أمي في البيست، انطلقت إلى أم حنظلة تطحن دقيقا، فقال أبوه: أساء سمعا فأساء جابة، فأرسلها مثلا، فلما رجعا قال أبوه: فضحني ابلك اليوم عند الأخنس قال كذا وكذا، فقالت الأم: إنما ابني صبي، قال سهيل: أشبه امرؤ بعض بزه،

فأرسلها مثلا. [مجمع الأمثال، للبيداني، رقم: ١٧٧٣]

كما أن على المجتمع عدم المبالغة في نظرة الشفقة والرثاء عليهن والحرص على عدم التلطف بأي عبارة من عبارات المواساة أمامهن حتى لا يحزن ولا يكتئبن كما أن على أفراد المجتمع الاهتمام بهن وذلك بإيجاد حلول لمشاكلهن فالنساء بصفة عامة يردن أن يرحمن غيرهن لا أن يرحمن غيرهم ويزيد هذا الأمر عند العوانس فالمرأة بصفة عامة تميل إلى التزيد والمبالغة في الأمور فهي تريد أن تري غيرها أن لها فضلا عليهم لا أن لهم فضلا عليها فعلى أفراد المجتمع فهم حقيقة هذا الأمر وتتفاوت نظرات المجتمع نحو العانس ما بين الشفقة والرحمة المفرطة والشماتة والسخرية والسعي نحو حل مشاكلها والتخفيف من معاناتها دون جرح مشاعرها لأن الرحمة لا تفهمها كل النساء بل هي تريد أن ترحم لا أن تُرحم وبعض أفراد المجتمع ينظر إلى المتزوجات والعوانس من الثييات<sup>(١)</sup> أنهم يمكنهن قضاء أوطارهن وأنه يمكنه مساعدتهن في هذا الأمر باعتباره ديناً يمكن تقاضيه بينهما قال التبريزي: ورد أعرابي البصرة فحضر الجامع وسمع المؤذنين يؤذنون . فقال: ما هؤلاء يصيحون: ولم يكن له بالأذان عهد. فقال بعض المجان: كل من كان في قلبه شئ وصعد وباح بما في قلبه أعطي مناه فقال الأعرابي: إني والله صاعد إذا. فقال الماجن لنقيب المؤذنين: هذا أعرابي جيد الأذان يريد أن يؤذن. فقال: ليصعد. فصعد وكان جهير الصوت ورفع صوته بهذه الأبيات:

جزى الله عنا ذات بعل تصدقت      على عزب حتى يكون له أهل  
فإننا سنجزئها بما فعلت بنا      إذا ما تزوجنا وليس لها بعل

(١) كالنساء المطلقات والأرامل والمعلقات والمغيبات.

أفيضوا على عزابكم من نساتكم فما في كتاب الله أن يحرم الفضل  
فعدا الناس إليه فطرحوه من المنارة فهلك. فسُمع بعض نساء البصرة تقول: رحم الله  
ذلك المؤذن ما كان أطيب أذانه.<sup>(١)</sup>  
- نشوء أمراض الحسد والبغض :

الحسد صفة ملازمة لليهود لعنهم الله، قال الله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ  
عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>  
وهو صفة مذمومة ومرض عضال وداء لا دواء له إلا تركه ، وله أسباب وظواهر  
بسطنا الحديث عنها في كتابنا الخلافات بين الأقارب فليراجع في موضعه. والحسد لا ينشأ  
إلا مع ظهور نعمة على أحد الأفراد — وبخاصة اللصيقين بهم من الأقارب والمعارف من  
الجيران والزملاء ونحوهم ، والحسد تذكیه الغيرة وتزيد من أواره ، فالنساء المتزوجات  
يواجهن بشدة الغيرة من النساء غير المتزوجات فالفتاة العانس قد تحسد غيرها من لداقها  
ونظائرها اللاتي ساعفهن الحظ فتزوجن وسعدن مع أزواجهن<sup>(٣)</sup> رغم أنهن دونها في كل  
شيء من جمال وعلم ونحوه من مشوقات الرجال نحو النساء ولكن عمى الرجال لا  
حدود له فهم قد فضلوا هذا القبيحة الجاهلة عليها كما أنه قد تحسد الفتاة العانس أختها  
على زوجها وأطفالها<sup>(٤)</sup> أو قد يذهب بها الرأي والفكر أن تحسد أمها على أبيها لا طمعا

(١) شرح ديوان حماسة أبي تمام ج ٢ ص ١٢١٠ / شرح التبريزي ج ٤ ص ١٦٥

(٢) سورة النساء آية ٥٤

(٣) ليست هذه ظواهر مطردة عند كل النساء ولكن قد تحدث ولذا تناولناها بحديثنا.

(٤) انظر قصة رقم : ١٥ - العنوسة تولد الحقد من هذا الكتاب.

في أن يتزوجها أبوها ولكن مجرد تساؤلات لماذا؟ أمها منعمة ولها زوج وهي فارغ خلية عنه كما أن أهل الفتاة العانس يحسدون الأسر التي نفقت بناقهم وتزوجن والفتاة العانس في غمرة حسدها ونشوة غضبها تنسى محاسن كل النساء المتزوجات وتمثل أما ناظرها مساوئهن كما أنها تتذكر محاسنها وتنسى أو تتناسى مساوئها بل تحول هذه المساوئ إلى حسنات.

والبغض والكره للمحسود نتيجة حتمية للحسد فهي تبغضهن وتربص بهن الدوائر عليها دائرة السوء ومن ثم تنتقصهن وتسعى جاهدة لانتقاص أقدارهن والتقليل من شأنهن والغضب منهن ورميهن بكل سوء وباطل واختلاق الأكاذيب وافتك الباطل وافتعال الأراجيف فتشيع مثلا: أن عمرا قد تزوج خالدة لأنه كان بينهما ما كان ممن لست أذكره من الشر والفساد فخالدة قد فرطت في نفسها ومكنت عمرا من النيل منها لأنه كان قد وعدنا بالزواج منها ومنها الارتباط بها وكان رجلا شهما فوفي لها بذلك. كما أن الحسد يولد الحقد وحب الانتقام الذي يدفع العانس للتفكير في إلحاق الأذى بغيرها من المتزوجات والإيقاع والإضرار بهن.<sup>(١)</sup>

#### ٦- الانتحار:

عندما تعرف العانس أن قطار الزواج قد فات وأن الركب قد ارتحل وأن المطايا قد سرت وأنه قد انفض سامر زواجها لأفول العمر ولا رجحان الشباب وبدء ابيضاض الشعيرات والدوائب التي لم تخفها الحناء ولا الأصباغ التي أخذت من هذه العانس وقتا وجهدا ومالا كما أن الشيطان يحزها ويلقي في روعها أن الراغبين في الزواج لم يتركوها إلا لأنهم يرونها أنه قد نيل منها وأنها قد فرطت في نفسها، ولذلك تركوها وزهدوا فيها

(١) انظر قصة رقم: ٣ - أحزان خلف الجدران: وقصة رقم: ١٥ - الغنوسة تولد الحقد من هذا

وأحجموا عن التقدم إليها فانظري إلى فلانة وذكورها بوحدة متزوجة غاية في القبح والدمامة ويلقي عليها تساؤلات : كيف أنها قد تزوجت رغم قبحها ؟ وما الدافع لهذا الزواج سوى أن المتقدم لها يظن فيها العفة فقط لا غير . فتفكر المسكينة في إنهاء حياتها وتبادر الله عز وجل بنفسها فتجأ نفسها بسكين أو نحوها أو تحتسي صبغا قاتلا أو تصعق نفسها بالكهرباء ، فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ <sup>(١)</sup> وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ومن تحسّى سمًا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا. <sup>(٢)</sup>

وتنسى هذه المسكينة في غمرة هذه الأفكار السوداء أن الزواج مقسوم وأن عدمه مصيبة من المصائب التي يجب الصبر عليها والاسترجاع فيها فالقدر يمضي على ما أَرْضَانَا وما أمضنا فعلينا الصبر حتى ينال العبد الثواب والأجر الجزيل.

(١) سورة النساء آية ٢٩

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الطب، باب: شرب السم والدواء به وما يخاف منه والخيث، حديث رقم: ٥٣٣٣ / صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، حديث رقم:

٧- الإغراق في الأمانى والإسقاط عما في دواخل النفس :  
أ- الإغراق في الأمانى: <sup>(١)</sup>

الإغراق في الأمانى صفة ملازمة للعجز والجهل <sup>(٢)</sup> وبعضها جيد، وبعضها من الإفلاس، قال الشاعر:

إذا تمنيت مسالبا متغبطا      إن المنى رؤوس أموال المغاليس

لولا المنى مت من هم ومن حزن      إذا تذكرت ما في داخل الكيس <sup>(٣)</sup>

وكل أمنية تعكس ما يدور بخلد صاحبها وما يجيش بخاطره، وما يعتمل في ذهنه، فأمنية الداعية المسلم أن يخرج داعية يحمل مقود النور ومشعل الفضيلة بلسان وبيان، فداعية مثل عمر بن الخطاب يتمنى دعاة مثله: فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب قال لأصحابه: تمنوا فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله. قال: تمنوا فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبا فأنفقه في سبيل الله. قال: تمنوا قال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرا أو نحوه فأنفقه في سبيل الله. فقال عمر: تمنوا فقالوا: ما تمنينا بعد هذا. قال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعملهم في طاعة الله. قال: ثم بعث جمال إلى حذيفة، قال: انظر ما يصنع، قال: فلما أتاه قسمه. ثم

<sup>(١)</sup> التَّمَنَّى: تَشَهَّى حُصُولِ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ، وَحَدِيثِ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ. [النهاية في

غريب الحديث والأثر، مادة: {منأ}]

<sup>(٢)</sup> قال ابن زياد: ثلاث من علامات الجاهل: الإغراب في الضحك، وكثرة الالتفات، والإغراق في

الأمانى.

<sup>(٣)</sup> الإدارة في التراث الإسلامي، ص ٣٦٩

بعث بمال إلى معاذ بن جبل فقسمه. ثم بعث بمال يعني إلى أبي عبيدة قال: انظر ما يصنع، فقسمه، فقال عمر: قد قلت لكم.<sup>(١)</sup>

وكل امرئ أمانيه تليق بمعالیه ومكانته فأمنية المحدث عكسها الإمام أحمد السدي قيل له: ما تتمنى؟ قال: سندا عاليا وبيتا خاليا، وقيل لبعض الوراقين: ما تتمنى؟ قال: قلما مشاقا، وحبرا براقا، وجلدا وأوراقا.<sup>(٢)</sup>

كما أن أمنية التاجر أو التويجر هي اتساع تجارته وكثرة أمواله: يحكى أن رجلا كانت له بقرة فحلب لبنها ومخضه واستخرج منه سمنا، ثم أخذه إلى السوق يريد بيعه، وجلس منتظرا زبونا لشراء زجاجة السمن التي أمامه، فسرح في أفكاره وتخيل أنه قد باع هذه الزجاجة واشترى بثمانها بقرة أخرى فزاد لبنه وزاد مبيع زجاجات السمن، وتزوج امرأة وأنجب منها ولدا وأمر هذا الولد بأمر من أمور الحياة العادية فخالقه ولم يسمع كلامه، فما كان منه إلا أن ضربه بعصاه ضربة أحسنت أدبه، ورفع العصا وضرب الزجاجة التي أمامه وأراق السمن.

كما أن أمنية الأب أن يزوج بناته إن كان له بنات وأن يأتي خطاب لمن فيشترط عليهم ما يشاء متمنيا نفاق سوق بناته وقيامها، فيرفض منهم من يشاء، ويشترط على من يوافق عليه منهم ما يشاء، قال أحدهم يزفن<sup>(٣)</sup> ابنته متمنيا لها أن تصبح شابة جميلة تترقع ويحيئها خطابها فقال:

(١) التاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ١٠٢ / سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٤

(٢) معاهد التنصيص ج ٢ ص ١٤١

(٣) الترفين: هو ضرب من الحركة مع صوت

يا ليتها قد لبست وصواصا<sup>(١)</sup> وعلقت حاجبها تنماصا<sup>(٢)</sup>

حتى يجينوا عصبا حراصا ويرقصوا من حولنا إرقاصا

فيجدوني عكرا حياصا<sup>(٣)</sup>

كما أن الجائع أمنيته أن يسهل الله عز وجل له لقمة يسد بها رمقه أو أكلة هينة مريسة وأن يسهل له أبوابها وسبل الوصول إليها: قال الشيباني: أن أعرابيا قال: كنت أشتهي ثريدة دكنا من الفلفل رقطاع من الحمص، ذات حفاين من اللحم، لها جناحان من العراق، أضرب فيها كما يضرب ولي السوء في مال اليتيم.<sup>(٤)</sup>

وأمنية المجاهد أن يتصر في جهاده على عدوه، وأن ينال الشهادة وأن يدخل الجنة، قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه عندما قال له الناس: ردك الله إلى أهلك سالما:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة  
أو طعنة بيدي حران مجهزة  
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا  
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا  
حتى يقولوا إذا مروا على جدتي  
أرشدك الله من غاز وقد رشدنا<sup>(٥)</sup>

(١) الوصاوص : البرقع

(٢) النمص: ترقيق شعر الحاجبين أو نشف شعر الوجه

(٣) حاص: فر / أغاني ترقيص الأطفال عند العرب منذ الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي تأليف أحمد

أبو سعد دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، كانون الثاني ١٩٨٢ ص ٩٩

(٤) نوادير الظرفاء والقصص عند العرب، نديم كامل ص ١٤٨

(٥) البداية والنهاية لابن كثير مجلد ٢ ج ٤ ص ٢٤٢

وأمنية الطالب النجاح في دراسته ، وتحقيق وظيفة تسره مستقبلا قال أحد

الأطفال عاكسا هذه الأمنية:

إنني طفل صغير اتخذت العلم نورا  
 هل ترى أغدو طبيبا أو وزيرا  
 يا ترى ماذا أصير عندما أغدو كبيرا  
 سوف أسعى غير وانٍ أطلب العلم كثيرا  
 أو أغدو زعيما أو صحفيا شهيرا  
 وأمنية العاشق التمكن من معشوقته والخلوة بها ، قال كثير عزة متمنيا له ولعزرة  
 أن يمسخا بعيرين حتى يخلوا وحدهما أطول مدة :

ألا ليتنا يا عز من غير ريبة  
 نكون بعيري ذي غنى فيضيعنا  
 كلانا به عرف من يرنا يقل  
 على حسنها جرباء تعدي وأجرب  
 إذا ما وردنا منهلا صاح أهله  
 وددت وبيت الله أنك بكرة  
 علينا فما ننفك نرمى ونضرب  
 هجان وأني مصعب ثم نهرب  
 فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

واعترض عمر بن أبي ربيعة ونصيب والأحوص، على كثير في أبياته هذه وقال له عمر:  
 ويلك تمنيت لها ولنفسك الرق والجرب والطررد والمسخ فأبي مكروه لم تمن لها ولنفسك!  
 ولقد أصابها منك قول الأول : معاداة عاقل خير من مودة أحمق.<sup>(٢)</sup>

والعانس تبني قصورا من الرمال في خيالها ثم تعود فتهدمها وتنشئها بناء آخر،  
 وتنسج أحاديث على منوال هذه الأماي، بأنها قد تزوجت وأنها قد سعدت في حياتها وأنها  
 قد أنجبت طفلا أسمته زيدا أو عمرا أو غيرها من الأسماء التي تجود بها قريحتها وتسعفها بها

(١) نعزب : نبعذ. ومنه الأعزب أي البعيد عن النساء.

(٢) قصص العرب ج ٣ ص ١٩٥

مخيلتها، وأن هذا الطفل قد ناغته وأرضعته وذهبت به إلى دار الحضانة، ورياض الأطفال وأدخلته المدرسة، وترعرع ونشأ وبلغ مبلغ الصبيان ثم التحق بالمدرسة الثانوية.

يحكى أن فتاة كانت تركب مركبة عامة تسافر بين المدن، فوقع مقعدها مجاورا لشاب وسيم، وكانت البنت عانسا، وبطول ساعات السفر نامت على مقعدها، وتخيّلت الفتاة أن هذا الشاب قد تقدم لخطبتها، ووافق أبوها عليه، وتم تحديد يوم العقد<sup>(١)</sup> وبدعوا التجهيزات للزواج، وجاء اليوم المحدد للزواج وتوافد الناس، وأولم أبوها عليها وليمة كبيرة، وأطعموا المدعوين، وفي هذا الأثناء انفجر إطار السيارة انفجارا مديويا، فاستيقظت الفتاة وصاحت: هل تم العقد؟ أي عقد الزواج. وظنت أن هذا الانفجار عيار ناري أطلق بهذا السبب، لأن الناس في الزواج عادة يطلقون الأعيرة النارية.

ب - الإسقاط عما في دواخل النفس:

تخرج عن الإنسان بصفة عامة كلمات وعبارات، توحى بما يجيش في صدره، وما تخفيه مكنونات نفسه، وما يسبب له شغلا وهاجسا، فمن خلال هذه الكلمات المنفلتة، والعبارات الصادرة، تستطيع أن تكون فكرة عن ما يشغل بال هذا الشخص.

والعانس جزء من مجتمع الناس، وعتوستها تشكل لها مشكلة كبرى تتأثر بها أطراف أخرى، من الدين وإخوان، وأخوات متزوجات، وأعمام وعمات، وأخوال وخالات، وغيرهم. ولتأخذ مثلا واحدا لعبارات تخرج من العوانس، وهي أغاني البنات، التي كانت قبل الغنوسة في شكل والآن بعد طوفان الغنوسة أخذت شكلا آخر، ولا نريد أن نتطرق للأغاني من حيث مشروعيتها أو عدمه. فحكمها معروف فهي حرام لقول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ

(١) أي عقد النكاح.

وَيَتَّخِذَهَا هُزُؤًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١﴾ أما الغناء بالدف للجواري في الأعراس فهو مباح لم يخالف فيه أحد من الناس وقد كان يمارس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع مراعاة عدم اختلاط الجنسين، و عدم احتوائه على ما يخالف الشريعة ، وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن ما يخالف فيها من مخالفة : فَعَنِ الرَّبِيعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ بُنَيَّ عَلَيَّ فَجَلَسَ عَلَيَّ فَرَأَيْتُ كَمَا جَلَسَ مِنِّي وَجُورِيَّاتٍ يَضْرِبْنَ بِالْأُفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ:

وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدِي

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ. (٢)

وأغاني البنات في الأعراس في القديم كانت تدور غالبا حول ما بذله الزوج من جهاز لزوجته وما سيقوم به من تجهيزات، كما قالت إحدى نساء الأنصار تصف ما أحضر زوج امرأة عروس: فعن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بنساء من الأنصار في عرس لهن وهن يغنين:

وأهدى لها أكبشا تبجح (٣) في المربد (٤)

(١) سورة لقمان آية ٦

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب: ضرب الدف في النكاح والوليمة، حديث رقم: ٤٧٥٠ / سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن الغناء، حديث رقم: ٤٢٧٦ / سنن الترمذي، كتاب: النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في إعلان النكاح، حديث رقم: ١٠١٠

(٣) تبجح في المربد: أي متمكنة في المربد وهو الموضع. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:

{تبجح} / لسان العرب، مادة: بجح]

(٤) المعجم الصغير، ج ١ ص ٢١٤، حديث رقم: ٣٤٣

أي أنها تمجد الزوج وأن زوجته قد فازت ببعيتها فعليها أن تحمد الله وتشكره على ما أولاها من نعم ، وعلى بقية البنات أن لا يحسدن لما فازت به من زوج كما أنها لا تنسى وصف الزوجة بأنها على درجة من الجمال وأن زوجها قد فاز بما لم يفز به غيره من جمال وأدب وصفات كثيرة يجدها الرجال الراغبون في الزواج وعند ساعة زفاف العروس <sup>(١)</sup> لزوجها تجلس مجموعة من الفتيات اللاتي يكن غالبا غير متزوجات ويتغنين ببعض الأغاني، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ أُنْكَحَتْ عَائِشَةُ ذَاتَ قَرَابَةٍ لَهَا مِنْ الْأَنْصَارِ <sup>(٢)</sup> فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَهْدَيْتُمْ <sup>(٣)</sup> الْفَتَاةَ قَالُوا نَعَمْ قَالَ أُرْسَلْتُمْ مَعَهَا مَنْ يُعْنِي قَالَتْ لَأُفَقِّدَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ فَلَوْ بَعَثْتُمْ مَعَهَا مَنْ يَقُولُ:

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ

<sup>(١)</sup> عرس الرجل امرأته وهو أيضا عرسها ولا يقال للزوجين عروسين إلا أيام البناء واتخاذ العرس، والمرأة تسمى عرس الرجل في كل وقت.

<sup>(٢)</sup> هي: فارعة بنت أبي أمامة أسعد بن زرارَةَ الأنصارية، قال أبو عمر كان أبو أمامة أوصى ببناته فارعة وحبيبة وكبشة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فزوج النبي صلى الله عليه وسلم الفارعة نبيط بن جابر من بني مالك بن النجار. وقال بن سعد أمها عميرة بنت سهل وكانت الفريعة أكبر بنات أسعد بن زرارَةَ فلما بلغت خطبها نبيط بن جابر فلما كانت الليلة التي زفت فيها قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم قولوا أتيناكم أتيناكم فحيونا نحيكم فولدت لنبيط عبد الملك فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرك فيه وكانت الفريعة من المبايعات. [الإصابة لابن حجر، ترجمة: ١١٥٧٣]

<sup>(٣)</sup> قال السندي: قوله ( أهديتم الفتاة ) أي أرسلتموها إلى بيت بعلمها، والغزل بفتحين اسم من المغازلة بمعنى محادثة النساء ومثلهم لا يخلو عن حب التغني ( فحيانا وحياكم ) قيل وآخره لولا الحنطة السمراء لم تسمن عذاراكم. (شرح سنن ابن ماجه للسندي: ج ٢ ص ٤٣٩)

لولا الحنطة السمراء لم تسمن عذاراكم<sup>(١)</sup>

ويكون هذا الاجتماع غالبا خلوا من الرجال عدا الزوج الذي أحضر جلوة العروس ويتغنين بمجموعة أغاني بعضها مما ذكرناه آنفا من إضفاء صفات تمجيد وثناء على الزوجين وما نالتهن من فرحة يعقد هذا الزواج المبارك الميمون متمنيات لهما حياة زوجية سعيدة. وأن يغلبها الزوج بالمال وتغلبه الزوجة بالعيال.

وفي السودان لو أخذناه مثلا ويمكنك قياس أكثر البلاد الإسلامية عليه للتشابه في معظمها، كانت أغاني البنات في الماضي القريب تدور حول الحرية المتوفرة للفتاة في الاختيار الواسع للزوج فهي لا تريد شريك حياتها أن يكون من أبناء عمها وتدعو لابن عمها أن يصيبه الغم، ولا أن يكون ابن خالها داعية الله له أن يخلخل حاله وأن يكثر بلباله، ولا أن يكون جارا ولا قريبا من الأهل والعشيرة، ولا أن يكون أصلع ولا شيئا كبيرا سواء أكان قريبا لها أم بعيدا عنها داعية الله عز وجل أن يحول بينها وبين الشيوخ

(١) سنن ابن ماجه : كتاب النكاح، باب: الغناء والدف، حديث رقم : ١٨٩٠

وعن عبد الرحمن بن نبيط عن أبيه هو نبيط بن جابر عن جدته أم نبيط قالت أهدينا جاريتنا لنا من بني النجار إلى زوجها فكنت مع نسوة من بني النجار ومعى دف أضرب به وأنا أقول

أتميناكم أتميناكم فحيونا نحييكم

ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

قالت فوقف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا يا أم نبيط فقلت بأبي أنت وأمي يا نبي الله جاريتنا منا من بني النجار فهديتها إلى زوجها قالت فتقولين ماذا قالت فأعدت عليه قولي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولي

لولا الحنطة السمراء ما سمن عذاريكم

[الإصابة لابن حجر، ترجمة : ١٢٢٧٩]

المتصابين الناهضين كالقروخ المتقدمين للفتيات اللاتي هن في عمر الزهور وأن يصيهم العمى من جراء آلة حادة تدخل في أعينهم فتذهب بضونها ولا تنسى أن تذكر صفات زوجها المرتقب، وفارس أحلامها المنتظر، فشريك الحياة المتقدم لمن يجب أن يكون مغتربا أو تاجرا من تجار الغرب<sup>(١)</sup> أو أن يكون زوجها المرتقب من هيئة التدريس في الجامعات وأن يكون وسيما جميلا ينتقي ملابس انتقاء وأنه كان من المبتعثين إلى البلاد الأوربية وبخاصة فرنسا عاصمة الرقي والجمال وأن يكون بالتحديد قادما من عاصمتها باريس، كما أن الفتاة لا تنسى أن تشمت بالعازبين وأنهم سيموتون كمدا وحسرة، وأن الهم والغم سيلازمهم، وأن الكرب والحزن سيحالفهم لأنهم لم ولن يظفروا بها ، هكذا كانت تدور أغاني البنات عندما كانت سوقهن قائمة، وكان التهافت عليهن كبيرا ، وكان الإقبال عليهن متتاليا ، وعندما تبدلت الحال، بعوامل عدة ككثرة البنات المطردة ، وفتح أبواب الفواحش على مصراعيها في بعض بلدان المسلمين علانية أو عن طريق الاختلاط في الجامعات والمعاهد العليا، والزواج من الأجنبيات والظروف الاقتصادية لبعض الأزواج والمغالة في المهور، صارت العنوسة مشكلة تعاني منها المجتمعات فانعكس ذلك على أغاني البنات فصارت توجد مجموعة أخرى من أغاني البنات في الأعراس تعكس لنا ما تعانيه هؤلاء الفتيات من صراعات وما يكتنفهن من عنوسة أحسن بها فأسقطن عما في أنفسهن مما صار هاجسا وشبها يترآى هن في حلهن وترحلهن ويقظتهن ومنامهن ومن ثم تغيرت أغاني البنات في الأعراس وبدأ التحول التدريجي في الأغاني بفعل العنوسة فصارت أغانيهن اللاتي كن يطلبن فيهن ما ذكرناه آنفا من مغترب أو تاجر أو أستاذ

(١) أي مغتربا في إحدى دول النفط كالسعودية ودول الخليج. أو تاجرا من تجار غرب السودان وهم أصحاب أبقار وتجارات واسعة.

جامعي بالتنازل عن هذه الطلبات وعدم الاشتطاط في الاشتراطات، فتنازلن عن اشتراط المال، إلى الرضا بأدنى المستويات ليست الوظيفة بل العمالية ومن أقل الوظائف العمالية وأخسها وهي وظيفة صاحب عربة الكارو وهي العربة التي تجرها الحيوانات كالخيل والحمير وتطلب منه أن يتقدم لخطبتها بما عنده وذلك في حوار طويل وأنه إن لم يكن عنده شيء فإن أباه سيتكفل بكل شيء حتى وإن لم تكن عنده ملابس فسيلبس من ملابس والدها مع أشياء كثيرة من هذا الضرب. ويصور لنا مقطع آخر من أغاني البنات قول واحدة: أنها ملت من جلوسها في البيت من غير زواج، وتدعو أحد الصالحين الأموات وتسميه باسمه وتسأله مستغيثة به أن ييسر لها زوجاً<sup>(١)</sup> وسترضى من هذا الشيخ بما سيعطيه لها حتى وإن كان زوجا له امرأة بل حتى ولو كان زوج أختها مما يعني أنها إن كانت تعي ما تقول شيئين لا ثالث لهما :

— أن تتمنى موت أختها وأن تخلفها في مكانها.

— أن يجمع زوج أختها بينها وبين أختها في غمد واحد.

وهي تعلم تمام العلم أن زوج أختها لن يطلق أختها — حتى ولو أراد ذلك وكانت له الرغبة الملحة فيها — ويتزوجها لأن المجتمع لا يوافق على ذلك وينكره، أما والدها فموافقتهم دونها خرط القتاد، لأنهما لا يريدان استفحال<sup>(٢)</sup> هذا الزوج وأن

(١) هذا الأمر من الشرك الأكبر لأنه دعاء لغير الله تعالى.

(٢) الاستفحال الإتيان بفحل للمرأة، قال الفيروز آبادي: الاستفحال: ما يفعله أغلاج كابل إذا رأوا رجلاً جسيماً من العرب خلوا بينه وبين نسائهم ليولد فيهم مثله. [القاموس المحيط باب اللام. فصل

يطلق هذه ويتزوج تلك بل المتبادر إلى الذهن أن تموت أختها فتخلفها هي في مكانها عند زوجها. ولكن يلتمس هؤلاء الفتيات عذرا أنهن يتفوهن بما لا يعين. <sup>(١)</sup>

### ٨- الخداع والتغريب وإخفاء العمر الحقيقي:

من الجدير بالذكر أن الإنسان بصفة عامة يرغب في أن يصغر عمره والمرأة أشد رغبة في ذلك فهي قد تكون أكبر من عجوز بني إسرائيل <sup>(٢)</sup> وتوهم نفسها وتري غيرها أنها شابة يافعة في مقبل العمر وأما غضة في عمر الزهور وأما أمنية المستمني وأن ايضاض شعرها واشمطاط فرقها رغوة من رغوات الشباب، وقد تستشهد بقول ابن الرومي:

قد يشيب الفتى وليس عجيبا أن يرى النور في القضيبي الرطيب <sup>(٣)</sup>

وتعطيك درسا في الشيب وظهوره المبكر في الرأس فتفدك علما عليك أن تقيده ب قيد وإلا فر منك بنسيانه ، فالشيب له عوامل ومسببات عدة منها:

- الخوف وهي قد خافت بما فيه الكفاية فحياتها كلها خوف والتياح وأسى.
- والانشغال وهي لم تفرغ ذهنيا ولا بدنيا يوما ما فكل الدهر انشغال وتفكير.
- كما أن من عوامل الشيب المصائب وهي كل مصائب الدنيا ومشاكلها قد اجتمعت عليها وتكالت على ظهرها.
- كما أن من أسباب الشيب الهموم وهي قد لزمته الهموم والغموم وأحالت حالها إلى ما ترى من شيب فشيها حقيقة ليس من سنين تتابعت عليها ولكن شيبها المصائب والملمات، قال الشاعر:

<sup>(١)</sup> راجع: موقع النيلين، سوادنيات، مقال بعنوان: أغاني البنات.

<sup>(٢)</sup> قيل: أكبر من عجوز بني إسرائيل، وهي شارخ بنت يسير بن يعقوب، كانت لها مائتا سنة وعشر

سنين ، فلما مضت لها سبعون عادت شابة. [مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٥٠]

<sup>(٣)</sup> ثمار القلوب للتعالي ج ١ ص ٤٩٢

وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكن شيبتي الوقائع<sup>(١)</sup>  
وما أكثر الوقائع والملمات والأحداث التي أصابتها والتي لو نزلت بصم الجبال  
لصدعتها ولو نزلت بأشواوس الرجال لخت ظهورهم وألانت عمودهم ولكنها لصلب  
عودها وقوة صبرها وشدة شكيمتها شابت شعيرات رأسها هذا الشيب الخفيف الذي  
تراه ، وتجعد وجهها هذه التجعدات الطفيفة، وأدوات التجميل كفيلة يازالتها.

— كما أن من أسباب الشيب تقدم العمر وتتابع السنين كما هو معروف  
ومتبادر إلى الأذهان لرؤية شيب على الرؤوس من أول وهلة، قال الله تعالى ﴿اللَّهُ  
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا  
وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>

كما أن المرأة التي خالط رأسها شيب تود لو انتشر هذا الشيب في رؤوس غيرها  
من لداقها وبنات جنسها، أنشد ابن الأعرابي على لسان امرأة مستنكرة مشيب رأسها  
دون غيرها من أترابها، وأن رغبتها ومناها أن يأتي الشيب لكل النساء فقال:

عَلَامَ بَنَتْ أُخْتُ الْبِرَايِعِ بَيْتَهَا عَلَيَّ، وَقَالَتْ لِي: بَلِيلِ تَعَمَّمِ؟

معناه أما لما رأيت الشيب قالت لا تأتينا خلماً ولكن اتنا عمماً.<sup>(٣)</sup>

والنساء غالباً يخفين أعمارهن الحقيقية ولا يخبرن بها أحداً ولذلك فالمرأة لا تحتمل  
أن يسألها أحد من الناس عن عمرها ، وهي تستخدم الحناء لخصاب الرأس هذا إن لم

(١) الإدارة في التراث الإسلامي، ص ١٠٦

(٢) سورة الروم آية ٥٤

(٣) لسان العرب ، مادة : عمم

تستعمل الأصباغ السوداء كما أنها تستعمل كريمات لإزالة النمش والكلف من الوجه هذا إن لم تذهب إلى طيبة التجميل لشد بعض أجزاء جسمها كما أنها تحرص على استخدام الأحزمة لشد البطن خوفا من بروزه وظهوره ورجاء أن تكون هيفاء<sup>(١)</sup> ضامرة وقد صور لنا أحد شعراء الأعراب — وهو ابن أبي الزوائد الأعرابي — امرأة قابلها فظنها على مسحة من جمال وعلى درجة من ملاحه وأنها شابة يافعة لأنه رأى خضابها فظنه مؤشرا لكثرة خطاياها فدفعه هذا لخطبتها فوافقت فتزوجها وطلب تعجيل دخولها عليه فدخل بها فوجدها عجوزا قد مضى منها وأدبر زمانها وأفل عمرها وارجحس شبابها، ونصل خضابها وتخلعت أسنانها وكان الذي خدعته المظاهر ودلس عليه أمرها خضابها وفي حقيقة الأمر أن هذا الخضاب تصاب منها فقال مصورا هذا المشهد :

عجوز ترجي أن تكون فتية      وقد لحب الجنبان وأحدوب الظهر  
تدس إلى العطار ميرة أهلها      وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر  
وما راعني إلا خضاب بكفها      وكحل بعينها وأثوابها الصفـر  
وزوجتها قبل المحاق بليلة      فكان محاقا كله ذلك الشهر<sup>(٢)</sup>

وكما أن المظاهر تخدع الرجال فكذلك تخدع النساء فقد ترى المرأة رجلا ملبسه جيدة ومظهره يوحى بغناه، فتمني نفسها بالتعرف عليه والقرب منه، والزواج به، وعندما تتحقق أميتها تجد الأمر خـلاف

(١) الهيفُ بفتحين ضمير البطن والخاصرة ورجل أهيفُ وامرأة هيفاءُ وقوم هيفٌ وفرس هيفاءُ ضامرة. [مختار الصحاح للرازي، باب الهاء مادة: هيف]

(٢) الأضداد لابن الأنباري ص ١٥٤ ، أمالي ابن دريد ٢١٠

ما ظننت والواقف غير ما  
أملت.<sup>(١)</sup>

وليس من الحكمة واللباقة سؤال أحد من الناس عن عمره كما أنه ليس من  
الخصافة للرجال والنساء على السواء الإخبار بأعمارهم ابتداء من غير سؤال كما قال  
الشافعي رحمه الله تعالى: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه، لأنه إن كان صغيراً  
استحقروه، وإن كان كبيراً استهرموه<sup>(٢)</sup> كما أنه يمكن للإنسان أن يستعمل التورية  
والمعاريض إن كان لا يريد ذكر عمره الحقيقي.

وقد تلجأ كثير من النساء التي تخفق في التورية للكذب والخداع الذي ينتج عنه  
الشعور بالذنب أو موت القلب عند إدمان الكذب.

#### ٩- الذهاب إلى الكهنة والعرافين:

قال ابن منظور: يقال للحازي عراف، وللقنان عراف، وللطيب عراف، لمعرفة  
كل منهم بعلمه، والعراف الكاهن. قال عروة بن حزام:

فقلت لعراف اليمامة داوني فإنك إن أبرأتني لطبيب

وفي الحديث: من أتى عرافاً أو كاهناً، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.  
أراد بالعراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.<sup>(٣)</sup>

(١) قيل: غرني برداك من خدافلي: الخدافل: المعاور، بلا واحد. يضرب لمن صنع شيئه طمعاً في شيء  
غيره، قالت امرأة رأت على رجل بردين، فتزوجته طامعة في يساره، فألفته مفسراً. [القاموس المحيط،  
باب اللام. فصل الخاء. / لسان العرب، مادة: خدفل]

(٢) مختصر صفوة الصفوة ص ٢٠٧

(٣) لسان العرب ج ٤ ص ٢٨٩٨

والكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعى معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب.<sup>(١)</sup>

يزداد انتشار العقائد الفاسدة في المصائب والملمات من فقر ومرض ومسدهمات وينتشر الكهنة والعرافون في عصرنا الحالي انتشارا واسعا ومعظم آميهم وقاصديهم من النساء، وهن يأتين لهؤلاء الدجالين في الغالب للأسباب الآتية:

— بعض النساء اللاتي فاقن قطار الزواج والراغبات فيه، لأنهن خليات عمن الأزواج وقد أقضت الغنوسة مضجعهن، وأرقت ليليهن وأطالتهن.

— وبعضهن ظفرت بزواج فهي تريد تقييده وربطه والاستئثار به وحدها حتى لا يلتفت إلى غيرها ولا يفكر في سواها ولا يرتبط بشيء دونها.<sup>(٢)</sup>

— وبعضهن عقيم لا تنجب فهي تريد من الدجاجة أن يهبوا لها غلاما زكيا تقر به عينها وتداعبه وتشغل به فراغها القاتل.

— وبعضهن يعانين من خلافات ومشاكل مع أزواجهن فهن مهانات مسبوبات مشتومات إن لم يكن مشجوجات مضروبوات فهن يرغبن في إيقاف هذا النكد وفي حل هذه المشاكل ومن ثم العيش والتنعم مع أزواجهن في هناء ونعيم معززات مكرمات.

— وبعضهن متعمات مع أزواجهن يخشين العين ويخفن الحسد ويوجلن من زوال هذه النعمة وتحولها ويحذرن فجاءة النعمة وتحول العافية فهن يردن من هذا الشيخ أن يكتب لهن شيئا تحافظ به إحداهن على نعمتها فما أكثر العوانس البائسات وجلهن من ذوات الحسد.

(١) كتاب التعريفات للجرجاني ص ٢٣٥

(٢) انظر تأخير الأرواح وتقييدهم في الخلافات بين الزوجين

فتريد من هذا الدجال أن يعمل لها شيئا يضمن لها استمرار الحياة على هذا النسق وتلك الوتيرة وأن يقبها العوارض والمحن ويدفع عنها الشرور والإحـن.

— وبعضهن مغيبات طال غياب أزواجهن عنهن، فهن يردن عودقنم بأي طريقة،

شرعية أو غيرها، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت بتبغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حدائة ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به قالت عائشة رضي الله عنها لعروة يا بن أخي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكي حتى أتى لأرحمها تقول إني لأخاف أن أكون قد هلكت كان لي زوج فغاب عني فدخلت علي عجوز فشكوت إليها ذلك فقالت إن فعلت ما أمرك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءني بكلين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل فإذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا إنما نحن فتنه فلا تكفري وارجعي فأبيت وقلت : لا قالا فاذهبي إلى ذلك التور فبولي فيه فذهبت ففرغت ولم تفعل فرجعت إليهما فقالا فعلت فقلت نعم فقالا هل رأيت شيئا قلت لم أر شيئا فقالا لم تفعلي ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأبيت فقالا اذهبي إلى ذلك التور فبولي فيه ثم انتي فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجعت إليهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت لم أر شيئا فقالا كذبت لم تفعلي فارجعي إلى بلادك ولا تكفري فإنك على رأس التابعين فأبيت فقالا اذهبي إلى ذلك التور فبولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد قد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عني فجتتهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت فقلت رأيت فارسا مقنعا خرج مني فذهب في السماء حتى فقالا صدقت ذلك إيمانك خرج منك اذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيئا وما قال لي شيئا قالت بلى لن تريدي شيئا إلا كان خذي هذا القمح فابذري

فبذرت فقلت اطلعي فطلعت فقلت احقلي فأحقت ثم قلت افركي فأفركت ثم قلت  
أيسي فأبيست ثم قلت اطحني فأطحنت ثم قلت اخبزي فأخبزت فلما رأيت أني لا أريد  
شيئا إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا  
فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما  
يقولون لها وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعض  
من كان عنده لو كان أبواك حين أو أحدهما لكانا يكفيانك. (١)

والكاهن والعراف له معرفة بأحوال النساء من جراء طول تعامله معهن فيمكنه  
أن يذكر حقائق تعتمد على الاستنتاج وقوة القرينة فتظنها المرأة الهالكة في الشرك  
والضلالة ضربا من علم الغيب الذي استأثر الله عز وجل به وخص به نفسه وحجبه عن  
رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ  
اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْكَنْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ إِنْ أُنَا إِلَّا نَذِيرٌ  
وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢) وقال تعالى عن ملائكته نافية عنهم علمهم الغيب ﴿وَإِذْ قَالَ  
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ  
الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ  
كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قَالُوا

(١) سنن البيهقي الكبرى ٨ ص ١٣٧ ، حديث رقم: ١٦٢٨٢ / المستدرک علی الصحیحین ج ٤ ص

١٧١ ، حديث رقم: ٧٢٦٢

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٨

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١﴾ وقال تعالى عن جميع المخلوقات ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْذَبُونَ﴾ (٢) وقال تعالى عن الجن خاصة ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِئُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (٣)

ولنضرب مثلا على ما نقول: قد تأتي مجموعة من النسوة إلى أحد الكهان، وتكون إحداهن عليها مظاهر الزواج من حناء وزينة وطيب خاص بالنساء المتزوجات، فتأتيه على هذه الحال فيخمن إما أن هذه المرأة تريد:

— أن تسعد مع زوجها

— أو أنها عقيم تريد ذرية طيبة.

وكان تكون الأخرى مكورة البطن أو تحمل طفلا وتبدو كأنها قلقلة مشغولة فيستتج أنها تعاني من مشاكل مع زوجها، فيجيها بأنه بإمكانه استصلاح زوجها فتظن أنه يعلم الغيب لأنه بادرها بمشاكلها من قبل طرحها عليه وأنه لم يسألها عنها.

(١) سورة البقرة آية ٣٠ — ٣٣

(٢) سورة النمل آية ٦٥

(٣) سورة سبأ آية ١٤

وكان تكون الثالثة سلتاء<sup>(١)</sup> اليدين، سفعاء الخدين، بادية الشحوب، ساهمة الفكر، فيعرف أن هذه عانس تريد زوجا، فيبادرها قائلا: سيأتك زوج صفاته كذا وكذا، وتظن هذه البلهاء أن هذا الشيخ على شيء ولا تدري أنها ألقمته الحجة بحالتها التي يعرف منها أنها غير متزوجة أغبياء بني آدم وأنها راغبة في زوج لأن كل عانس ترغب في ذلك، ولم يأت هذا الكاهن الكاذب بجديد.

ومن مكر هؤلاء الكهنة أنهم إذا أعوزهم شيء من الأمور فأهم يسألون هؤلاء النساء بعض الأسئلة التي يعرفون بها حقيقة أمرهن ثم يقول الكاهن لكل واحدة منهن: أنت كذا وكذا ويكون قد استنتج كلامه من إجابة إحداهن على أسئلته لها. فتظن كل واحدة منهن أنه يعلم الغيب وأنه يمكنه مساعدتها، ويعكس هؤلاء النسوة تجارهن لأخواتهن فيرغبن فيما فعلن ومن ثم قد تلجأ غيرهن من العوانس للذهاب إلى هؤلاء الكهنة والعرافين ظنا منهن أن لهم يدا في تغيير واقعهن.

وقد حدثت قصة حقيقية لعروة بن حزام العذري حينما ذهب به أهله إلى أحد الكهنة والعرافين، وإليك القصة: قيل: إنه كان باليمامة عراف له قرين من الجن يعرفه الأخبار ودواء بعض الأدواء وكان يقال له رياح بن راشد وكنيته أبو كحلأء مولى لسبي يشكر فحملوه إليه فلما رآه أخذ يعالجه بأنواع العلاج والرقى والصب عليه وأصل ذلك أن العرب كانت إذا تحيلت بشخص سحرا جعلت على رأسه طبقا فيه ماء ثم أذابت

(١) السلتاء من النساء: التي لا تختضب. وسلت المرأة الخضاب عن يدها إذا مسخته وألقته. [لسان

الرصاص وسكبته في ذلك الماء ودفنته في فضاء من الأرض فيزول عن الشخص ما به وأن الكاهن فعل بعروة ذلك مرارا فلما لم ينجع أخبرهم أن ما به ليس إلا من العشق<sup>(١)</sup> وقد صور عروة مشاهد ذهابه للعراف وما قال للعراف وما قاله له العراف، في قوله:

ولعراف نجد إن هما شفياني	وجعلت لعراف اليمامة حكمه
وقاما مع العواد يبتدران	فقالا نعم تشفى من الداء كله
ليستخبراني قلت منذ زمان	نعم وبلى قال امتى كنت هكذا
ولا سلوة <sup>(٢)</sup> إلا وقد سقياني	فما تركا من رقية يعلمانها
ولا ادخرا نصحا ولا ألواني	وما شفيا الداء الذي بي كله
بما حملت منك الضلوع يدان	فقالا شفاك الله والله مالنا
عن الرأس ما ألتاها ببنان <sup>(٣)</sup>	فرحت من العراف تسقط عمتي

وقد جاء النهي عن الذهاب إلى الكهنة والعرافين في أحاديث كثيرة نجتزئ منها

بالآتي

— عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى كَاهِنًا  
أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. <sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> تزيين الأسواق ص ٧١

<sup>(٢)</sup> السَّلْوَانَةُ بالضم خرزة بيضاء شفاقة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا واسم ذلك الماء السَّلْوَانُ بالضم أيضا وقيل السلوان دواء يسقاه الخزين فيسلو والأطباء يسمونه المقرح [مختار الصحاح للرازي باب السين، مادة: سلا/ (بلوغ الأرب ج ٣ ص ٥)]

<sup>(٣)</sup> تزيين الأسواق ص ٧٤

— وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فَقَدْ بَرَّئَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. (٢)

### ١٠- الوقوع في المخالفات الشرعية :

يستغل الشيطان حال العانس وما تكون فيه من حزن، فيوسوس ويزين لها أن السبب الذي جعلها عانسا هو تفوقها في البيت ولزومها قعر بيتها حبيسة حيطان أربعة وأنها لا تبادر بالاختلاط بالشباب والتعرف عليهم بغية اصطياد واحد منهم فإن:

من راقب الناس مات هما وفاز باللذة الجسور (٣)

ويزين لها الشيطان السير في هذا المضمار ويذكرها بأمثلة من فتيات كن أقل منها التزاما وجمالا ومترلة ومكانة وساعفتهن الظروف وتزوجن ، فمثلا فلانة مع قبحها كانت كثيرة الخروج فظفرت بزوج ، وأن فلانة كانت تراسل غيرها من الشبان وتكتب لهم الرسائل الغرامية وكانت تهاتف بعضهم وراسلها عدة من الشباب وهاتفها آخرون فاخترت منهم من أعجبها وتركت الباقين، وأن فلانة كانت كثيرة الاختلاط بالشباب فعرفتهم حق المعرفة وخبرتهم حق الخبرة مع ذلك لم يزهدها فيها الزاهدون كما يوجع رأسنا كثير من الدعاة بقولهم: إن الفتاة كثيرة الاختلاط كثيرة الخروج يزهدها فيها الخطاب ، بل الأعجب

(١) مسند الإمام أحمد، حديث رقم : ٩١٧١

(٢) سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب: النهي عن إتيان الحائض، حديث رقم : ٦٣١ / مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، حديث رقم : ٨٩٢٢ / سنن الدارمي: كتاب الطهارة، باب من

أتى امرأته في دبرها، حديث رقم: ١١١٦

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لأبي عبد الله بن مفلح المقدسي الحنبلي، طبع جمعية إحياء التراث

الإسلامي، الطبعة الثانية، ج ١ ص ١٤٣

من ذلك أن فلانة كانت كثيرة الخروج وأنها فرطت في نفسها ونيل منها وتزوجت بعد ذلك. وتنسى هذه الفتاة في غمرة وساوس الشيطان العوانس اللاتي مثلها ومن هن أكثر منها التزاما وجلوسا في البيت بل وجهالا ومكانة ولم يتزوجن حتى الآن. فيزين لها الشيطان التبرج والسفور وإبداء الزينة والخروج والاختلاط بالرجال وكلها أمل ويجدوها شوق أن تظفر بواحد منهم. ويقودها الشيطان نحو خطواته خطوة خطوة فيزين لها النظر والاسترسال فيه ثم يقودها إلى الكلام مع الرجال ثم يتدرج بها إلى مصافحتهم ثم الجلوس معهم ثم إلى مراحل متقدمة بعد ذلك ، ثم بعد ذلك يبرأ منها ويزهد فيها أول من يزهّد من صافحوها وجلسوا معها ونالوا منها قال الله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وسبب نزول الآية ما يلي:

قال وهب بن منبه: إن عابدا كان في بني إسرائيل، وكان من أعبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، وكانت بكرا، ليست لهم أخت غيرها، فخرج البعث على ثلاثتهم، فلم يدروا عند من يخلفون أختهم، ولا عند من يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها. قال فاجتمع رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل، وكان ثقة في أنفسهم، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده، فتكون في كنفه وجواره إلى أن يقفلوا من غزاتهم، فأبى ذلك عليهم وتعوذ بالله منهم ومن أختهم. قال فلم يزالوا به حتى أطمعهم فقال: أنزلوها في بيت حذاء صومعتي، فأنزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها، فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا، يتزل إليها الطعام من صومعته، فيضعه عند باب

(١) سورة الحشر آية ١٦

الصومعة، ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام. قال: فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير، ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها فهارا، ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها. قال: فلبث بذلك زمانا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر، وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك؛ قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها، قال: فلبثت بذلك زمانا ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وحضه عليه، وقال: لو كنت تكلمها وتحديثها فتأنس بحديثك، فإنها قد استوحشت وحشة شديدة. قال: فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من فوق صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحديثها وتقعد على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها. فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها، وتخرج الجارية من بيتها، فلبثا زمانا يتحدثان، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها، وقال: لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا من باب بيتها كان آنس لها. فلم يزل به حتى فعل. قال: فلبثا زمانا، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها، وقال له: لو دنوت من باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها، ففعل. فكان يتزل من صومعته فيقعد على باب بيتها فيحدثها. فلبثا بذلك حينما ثم جاءه إبليس فقال: لو دخلت البيت معها تحدثها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك. فلم يزل به حتى دخل البيت، فجعل يحدثها فماره كله، فإذا أمسى صعد في صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذهما وقبلها. فلم يزل به إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها، فولدت له غلاما، فجاءه إبليس فقال له: أرايت إن جاء إخوة هذه الجارية وقد ولدت منك! كيف تصنع! لا آمن عليك أن تفتضح أو يفضحوك! فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه، فإنها ستكتم عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على

ما صنعت بها، ففعل. فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها! خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها. فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفيرة مع ابنها، وأطبق عليها صخرة عظيمة، وسوى عليها التراب، وصعد في صومعته يتعبد فيها؛ فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث؛ حتى قفل إخوتها من الغزو، فجاءوه فسألوه عنها فنعاهوا لهم وترحم عليها، وبكى لهم وقال: كانت خير أمة، وهذا قبرها فانظروا إليه. فأتى إخوتها القبر فبكوا على قبرها وترحموا عليها، وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا إلى أهاليهم. فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم، أتاهم الشيطان في صورة رجل مسافر، فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم؛ فأخبره بقول العابد وموتها وترجمه عليها، وكيف أراهم موضع قبرها؛ فكذبه الشيطان وقال: لم يصدقكم أمر أختكم، إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه فرعا منكم، وألقاها في حفيرة احتفرها خلف الباب الذي كانت فيه عن يمين من دخله. فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فبانكم ستجدوهما هنالك جميعا كما أخبرتكم. قال: وأتى الأوسط في منامه وقال له مثل ذلك. ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك. فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لما رأى كل واحد منهم. فأقبل بعضهم على بعض، يقول كل واحد منهم: لقد رأيت عجا، فأخبر بعضهم بعضا بما رأى. قال أكبرهم: هذا حلم ليس بشيء، فامضوا بنا ودعوا هذا. قال أصغرهم: لا أمضي حتى أتي ذلك المكان فأنظر فيه. قال: فانطلقوا جميعا حتى دخلوا البيت الذي كانت فيه أختهم، ففتحوا الباب وبجثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم، فوجدوا أختهم وابنها مذبحين في الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بما. فاستعدوا عليه ملكهم، فأنزل من صومعته فقدموه ليصلب، فلما أوقفوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال له: قد علمت أني صاحبك الذي فتتك في المرأة حتى أحبلتها وذبحتها وذبحت ابنها، فإن أنت أطعني اليوم وكفرت بالله الذي خلقتك خلصتك

مما أنت فيه. قال: فكفر العابد بالله؛ فلما كفر خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلوه.  
قال: ففيه نزلت هذه الآية. (١)

وتلجأ بعض الفتيات وبخاصة العوانس منهن إلى إطالة الأظافر وتليها بالطلاء  
الثقيل التي يطلق عليه المنكير، وإطالة الأظافر مخالفة لصفات الجمال عند السابقين فعندما  
ذكر السابقون صفات الجمال التي يجب توفرها عند المرأة لم يذكروا الأظافر الطويلة،  
وإنما ذكروا ليونة الأصابع ولطفها وأنه يمكن عقدها لمن أراد ذلك لأنها تشبه العنم، (٢) في  
رقتها وليتها، قال النابغة:

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ، كَأَنَّ بِنَانَهُ عَنَمٌ عَلَى أَعْصَانِهِ لِمَ يَعْقِدِ (٣)

فالأظافر الطويلة من صفات القبط والكلاب والسباع، التي تدم بالتشبيه بها الفتاة  
المسترجلة، وليست من صفات الطباء التي تشبه بها الحسناء من الفتيات، وقد أحسن من  
قال:

قل للمليحة أرسلت أظفارها إني لخوف كدت أمضى هاربا

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكاييد الشيطان وابن مردويه في تفسيره في حديث عبيد بن أبي رفاعة مرسلا  
وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن أبي طالب وقال صحيح الإسناد ووصله بطين في مسنده من  
حديث علي. انظر: تخریج أحاديث الإحياء، للحافظ العراقي، حديث رقم: ٣ / كثر العمال، حديث  
رقم: ١٧١٠

(٢) العنم: شجر لَبِنُ الأَعْصَانُ لَطِيفُهَا يُشَبَّهُ بِهِ البَنَانُ كَأَنَّهُ بَنَانُ العَدَارَى، واحداً عَنَمَةٌ، وهو مما يستاك  
به، وقيل: العنمُ أَعْصَانٌ تَبَتَ فِي سَوْقِ العِضَاءِ رَطْبَةً لَا تُشَبَّهُ سَائِرَ أَعْصَانِهَا حُمْرُ اللُّونِ، وقيل: هو  
ضرب من الشجر له نَوْزٌ أَحْمَرٌ تُشَبَّهُ بِهِ الأَصَابِعُ المَخْضُوبَةُ. قال ابن الأعرابي: العنم شجرة حجازية، لها  
ثمرة حمراء يُشَبَّهُ بِهَا البَنَانُ المَخْضُوبُ. [لسان العرب مادة: عنم]

(٣) لسان العرب مادة: عنم

إن المخالب للوحوش نخالها  
بألمس أنت قصصت شعرك غيلة  
وغدا نراك نقلت ثغرك للقفـا  
من علم الحسنة أن جمالها  
إن الجمال في الطبيعة رسمه  
فمتى رأينا للطبـاء مخالبا  
ونقلت عن وجه الطبيعة حاجبا  
وأزحت أنفك رغم أنفك جانبا  
في أن تخالف خلقها وتجانبا  
إن شذ خط منه لم يك صائبا

فكون الفتاة ترسل أظفارها حتى تكون شبيهة بالمخالب فهذا يخالف مزايا الجمال  
عند العرب وصفاته كما أنه يخالف لسنن الفطرة : فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ  
التَّيِّبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْفِطْرَةُ خَمْسٌ الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ  
وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَتَنْفُؤُ الْأَبَاطِ. (١)

وقد تلجأ بعض الفتيات العوانس وغيرهن إلى تقصير طول الثياب وتضييق  
أحجامها، والله در من قال:

أفوق الركبتين تشمرينا  
جعلت ملابسي صوفا طوالا  
بربك أي نهر تعبرينا  
وأنت هنيئة في شبه عري  
أخاف البرد يجعلني طعينا  
عيون المعجبين لديك جمر  
بجو بارد لا تشعرينا  
فتاة الجبل مثلك لا يجارى  
ستشتعل إن أردت هوى دفيئا  
سفيهاات يبعن تقى ودينا

فيا أيتها العانس لا يخدعك الشيطان فيزين لك اتباع خطواته مئيك بالظفر  
بزوج ومن ثم يتخلى عنك.

(١) صحيح البخاري: كتاب اللباس ، باب : تقليم الأظافر ، حديث رقم: ٥٤٤١ / صحيح مسلم:

كتاب الطهارة باب: خصال الفطرة، حديث رقم: ٣٧٧

ولتعلم الفتاة تمام العلم ولتعني كل الوعي أن الذي يريد أن يتزوج لا يتزوج فتاة خرج معها أو فجر بها كما أنه لا يتزوج فتاة كثيرة الدخول والخروج والتبرج بل يتزوج فتاة مؤدبة قاصرة الطرف حية الطرف ملازمة للبيت مسترة.

١١- الشرود الذهني وإدمان الفكر:

قد يكون الزواج شغل العانس الشاغل فهي تفكر فيه في يقظتها ويتراى لها زوجها في منامها وتلهج به بعد كبرها، كما ذكر أن امرأة أهدت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعلت تقول: زوجوني زوجوني،<sup>(١)</sup> قولوا لزوجي فليدخل، مهدوا الطريق لزوجي، فقال عمر رضي الله عنه: ما أهدر به النمر خير مما أهدرت به هذه، وكان النمر بن تولب رضي الله عنه خرف فجعل يقول: ضيفكم لا يضع، أكرموا الضيف أنزلوا الضيف، أغبقوا الضيف، وذلك لما كان يفعله في ماضي حياته.<sup>(٢)</sup>

وتكون العانس شاردة الذهن، فهي جالسة في المجلس بيدنها، وقلبها وعقلها خارجة، بل فكرها يطوف في أماكن متعددة هنا وهناك من العالم ويمكن للإنسان أن يلاحظ ذلك من قسّمات وجهها واختلاجات نفسها وفتلات لسانها وذلك بالفوه ببعض العبارات التي تكون لا علاقة لها بما يدور داخل المجلس، ويمكنه التأكد من ذلك بسؤالها سؤالاً مباغتاً فيجدها غير متواجدة في المجلس لا علم لها بما يدور. أما ليل العانس فليل طويل جدا والذي يراها صباحا يعلم مقدار ما عانت من البرح والشدة والعنت والسهرة فعيونها محمرة وذلك من جراء تفكيرها فيما حل بها من المصائب وما نزل بساحتها من

(١) وقد يكون لهج هذه المرأة بالزواج هو حرارة سوقها في شبابها وتمّافت الخطاب عليها وتعدد مرات زواجها.

(٢) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (طبع دار الثقافة بيروت) ص ٢٢٧

المدهومات وأما ترى نفسها أنها دخلت في سن اليأس وتحدث نفسها وتساؤلها: هل ستظفر بزواج بعد هذا العمر الطويل؟ ولو ظفرت به هل ستشعر معه بسعادة كانت تمنى بها نفسها وتعوضها ما مضى من عمرها؟ وهل ستنجب أم أنها قد بلغت سن اليأس وصارت من القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فلا بأس عليها أن تتخفف من حجابها غير متبرجة بزينة والعفاف خير لها. قال الله تعالى ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَأَ يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

وهذه العانس في هذه الأفكار السوداء وأمثالها لا تتذكر نعم الله عليها التي لا تحصى ولا تعد، قال الله تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>(٣)</sup> وهذه النعم تبدأ بالإسلام الذي هدانا الله له، فالإسلام نعمة يجب الشكر عليها قال الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٤)</sup>

(١) سورة النور آية ٦٠

(٢) سورة النحل آية ١٨

(٣) سورة إبراهيم آية ٣٤

(٤) سورة المائدة آية ٣

والعافية التي أولها الله لها نعمة عظيمة من نعم الله علينا فلتذكرها العانس ولتعلم أن الله سبحانه وتعالى قد عافاها في بدنها وفي سمعها وفي بصرها وأن هناك عوانس عدة غيرها جمع بين الغنوسة والإعاقة وأن هناك نساء متزوجات خير منهن الخليات من الأزواج كالعوانس ونحوهن من النساء وذلك لما يعايشنه مع أزواجهن من عنت وشدة وبرح فهن مسبوبات مشتومات مضروبوات وأن هناك نساء معلقات وأخر مطلقات وغيرهن من أرامل النساء ومغيباتهن<sup>(١)</sup> اللاتي غاب عنهن أزواجهن في سفر طويل ولا أمل لهن في رجوعهم كما أن هناك من النساء من ينعمن مع أزواجهن فهذه قسمة ربنا عز وجل وهو على ما يشاء قدير وهو يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، ومن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

فيا أيتها العانس اتقي الله عز وجل واعلمي أن إدمانك الفكر في هذه الأمور وسهرك الدائم من أجلها لن يغير من واقعك شيئاً فعليك بالجوار إلى الله بالدعاء والاستغفار والتوبة إلى الله عز وجل وتوجيه هذا السهر في تلاوة القرآن الكريم والتهجد فستظهر آثار ذلك عليك: حيوية في جسمك ونضارة في وجهك ونشاط في نفسك، فعليك بالعبادات والإكثار من الطاعات، فقيام الليل مثلاً يضيء على الوجه جمالاً ونضارة وحيوية، قال أحمد بن عبد القادر الحفظي في منظومة قيام الليل:

<sup>(١)</sup> يقال امرأة مُشْهَدَةٌ إذا كان زوجها حاضراً عندها، وامرأة مُغِيبَةٌ إذا كان زوجها غائبا عنها. ويقال فيه مُغِيبَةٌ، ولا يقال مُشْهَدَةٌ. أرادت أن زوجها حاضرٌ لكنه لا يُقْرِبُها فهو كالغائب عنها. [ النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {شهد} ]

يا مدثر قم فأندثر ثم طهر كل شملة ثم صلي تصل معالي قاب قوسين يقينا

فاز من قام الليالي بصلاة الخاشعينا

ثم ناداه جهارا لا ترمسل بالبجاد وقم الليل اصطبارا وتزود للمعاد  
واقرب واسجد مرارا واجتنب طول الرقاد فظلام الليل جال لوجه القائميننا

فاز من قام الليالي بصلاة الخاشعينا

١٢- اليأس<sup>(١)</sup> والإحباط:

بعض الناس إن أصابه سوء يرى كأن الدنيا قد اسودت أمام ناظره وأن الأبواب قد أوصدت أمامه وأن السبل قد سدت مسالكها بين يديه ولم يبق لحياته معنى وأنه الأليق والأجدر والأحرى به انتظار الموت فلا سبيل أمامه إلا ذلك وهو راحة له من خضم هذه المشاكل التي حنت رقبتة وقصمت ظهره فتراه حائر الفكر خائر القوى لا يهمنه أن يقوم بشيء من الأعمال فيعطل طاقاته الكامنة ويستولي عليه الدهول والخمول ويصير كالمجنون ومن هذا الصنف بعض العوانس فترى أنها بعدم زواجها كأن الدنيا قد انقلبت رأسا على عقب، ولذا فهي تكون محبطة في حاضرها الذي يتقلب ليله وفهاره ويعملان فيها، كما أنها تكون حزينة على ما مضى من عمرها وارجحن من شبابها وتغضن من وجهها وتتخذ من جسمها، وتكون يائسة من مستقبلها متشائمة لمرحلة ما بعد زواجها هذا إن ظفرت بزواج وتتساءل: هل ستسعد مع هذا الزوج الذي جاء بعد طول انتظار أم أنها ستشقى معه شقاء يفوق شقاءها وهي عانس. وهي في الغالب تكون يائسة من الظفر بزواج، ويقفز إلى ذهنها فلانة التي كانت أجمل منها وأكثر غنى وتعلما ومكانة اجتماعية ولم تظفر بزواج

(١) اليأس: قطع الرجاء

حتى صارت من القواعد من النساء التي لا يرجون نكاحاً<sup>(١)</sup> وبلغت سن اليأس وصارت من ﴿وَاللَّائِي يَسْتَنُّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> فكيف تظفر هي بسزوج مع قبحها ودمامتها وضعة مكانة والديها وفقرها وقلة تعليمها؟ وتنسى هذه العانس أو تناسى ما كانت تصرح به في مقتبل شبابها من أن فلانة تزوجت مع قبحها ودمامتها وشؤمها مما ذكرناه مستوفى في المقدمة مما يجيش بصدور العوانس وتسقطه فلتات ألسنتهن مما تحويه مكونات صدورهن، وتطفح به قلوبهن مما لا نريد أن نجتره مرة أخرى. واليأس والقنوط من رحمة الله صفة من صفات الكفرة قال الله تعالى ﴿يَا بَنِي إِدْرِيءَ اقْتَحِسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِيُّ: ﴿لَا تَيَّاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ مَعْنَاهُ

(١) قال الزجاج: هن اللواتي قعدن عن الأزواج. ابن السكيت: امرأة قاعد إذا قعدت عن المحيض، فإذا أردت القعود قلت: قاعدة. قال: ويقولون امرأة واضع إذا لم يكن عليها حمار، وأتان جامع إذا حملت. قال أبو الهيثم: القواعد من صفات الإناث لا يقال رجال قواعد، وفي حديث أسماء الأشهبية: إننا معاشر النساء محصورات مقصورات قواعد يوتكنم وحوامل أولادكم؛ القواعد: جمع قاعد وهي المرأة الكبيرة المسنة، هكذا يقال بغير هاء أي أمها ذات قعود، فأما قاعدة فهي فاعلة من قعدت قعوداً، ويجمع على قواعد فهي فاعلة من قعدت قعوداً، ويجمع على قواعد أيضاً. [لسان العرب، مادة: قعد]

(٢) سورة الطلاق آية ٤

(٣) سورة يوسف آية : ٨٧

الرَّجَاءُ. <sup>(١)</sup> فعلى المسلم أن ينتظر رحمة الله عز وجل وفرجه وانتظار الفرج من أعظم العبادات وأفضلها لما جاء: عَنْ أَبِي الْأَخْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ. <sup>(٢)</sup>

قال المباركفوري: قوله: " سلوا الله من فضله " أي بعض فضله فإن فضله واسع وليس هناك مانع " فإن الله يحب أن يسأل " أي من فضله لأن يده تعالى مملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار " وأفضل العبادة انتظار الفرج " أي ارتقاب ذهاب البلاء والحزن بترك الشكاية إلى غيره تعالى وكونه أفضل العبادة لأن الصبر في البلاء انقياد للقضاء . والفرج بفتحين يقال فرج الله الغم عنه أي كشفه وأذهبه. <sup>(٣)</sup>

وليعلم المسلم أن كل أمره خير وأن ما أصابه كله بقدر الله عز وجل وأن الصبر سيعقبه فرج قال تعالى ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ <sup>(٤)</sup> وقال الله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ <sup>(٥)</sup> وعن زيد بن أسلم ، عن أبيه، قال بلغ: عمر أن أبا

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ

للسَّائِلِينَ﴾ حديث رقم: ٣١٣٧

<sup>(٢)</sup> سنن الترمذي، كتاب: الدعوات عن رسول الله، باب: فِي انْتِظَارِ الْفَرَجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حديث رقم:

٣٤٩٤

<sup>(٣)</sup> تحفة الأحمدي ج ١٠ ص ١٧

<sup>(٤)</sup> سورة الطلاق آية ٧

<sup>(٥)</sup> سورة الشرح آية ٥ - ٦

عبيدة حصر بالشام، ونال منه العدو، فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه ما نزل بعبد مؤمن شدة، إلا جعل الله بعدها فرجا، وإنه لا يغلب عسر يسرين.<sup>(١)</sup>

قال ابن الأثير: لن يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرِينَ. قال الخطابي: قيل: معناه أن العُسْرَ بَيْنَ يُسْرِينَ إما فَرَجٌ عاجلٌ في الدنيا، وإما ثوابٌ آجِلٌ في الآخرة. وقيل: أراد أن العُسْرَ الثاني هو الأوَّلُ لأنه ذَكَرَهُ مُعَرِّفًا باللام، وذَكَرَ اليُسْرِينَ تَكَرُّبًا، فكانا اثْنَيْنِ، تقول: كَسَبْتُ دَرَهْمًا ثم أَنْفَقْتُ الدَّرَهْمَ، فالثاني هو الأوَّلُ المُكْتَسَبُ.<sup>(٢)</sup> وقال هديبة بن خشرم:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب<sup>(٣)</sup>

(١) سر أعلام النبلاء ج ١ ص ١٥

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {عسر}

(٣) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ج ١ ص ٩٣ / شرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٢٧ - ٣٢٨

المبحث الثالث  
الآثار الاقتصادية للعنوسة

١- التألق في الملبس

٢- الإكثار من استعمال الكريجات والأصباغ والعطور

٣- إرهاق الوالدين بكثرة المطالب

٤- الاستغلال

## المبحث الثالث

## الآثار الاقتصادية للغنوسة

## ١- التأنق في الملبس :

الاهتمام بالثياب شيء ضروري لأن الملابس تعطي الإنسان تقيماً خاصاً، فالناظر لإنسان يلفته أول شيء مظهره ، فإن كان حسن الهندام جيد المظهر فإنه يروعه شكله ويروقه منظره وإن كان غير مهتم بثيابه ولا ملبسه من نظافة وتناسق ألوان فإنه يزهد فيه، قال الشاعر :

تجمل بالثياب تعش حميدا      فإن العين قبل الاختبار  
فلولبس الحمار ثياب خبز      لقال الناس يالك من حمار<sup>(١)</sup>

ولكن الغريب اللافت للنظر أن يكون الإنسان مهتماً بهندامه متأنقاً في زيه تأنقاً يفوق الأمر العادي ويتجاوز الشيء المعتاد ، فتراه يجلس الساعات الطوال أمام المرأة ينظر لنفسه ويحضر أنواع الكريمات والمرطبات للجسم وأنواع العطور والروائح فيصاب بنوع من النرجسية<sup>(٢)</sup> فالناس وإن كانوا يعجبهم صاحب الملابس الجميلة لكنهم لا يعتبرونها كل شيء فلا بد من معرفة حقيقته ليتسنى إعطاؤه تقيماً في خلقه وعلمه وفضله ثم يضاف إليه بعد ذلك ملبسه، أنشد ابن دريد لبعض الأعراب :

يغايظوننا بقمصان لهم جدد      كأننا لا نرى في السوق قمصانا  
ليس القميص إن جددت رقعته      بجاعل رجلا إلا كما كانا<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: موارد الظمآن لدروس الزمان ، لعبد العزيز السلطان ، ج ٢ ص ٥٧٨

(٢) النرجسية أو عشق الذات: يقصد بها عشق الذات، أو غرام الفرد بذاته، وإعجابه بنفسه وشكله وجسمه.

(٣) تاريخ دمشق، ج ٧، ص ١٦

ونجد بعض العوانس قتم بهندامها اهتماما كبيرا ، وتأنق في ملبسها تأنقا ملفتا للنظر، وتعرض للرجال، بغية أن تظفر بواحد منهم، وهي تتابع الموديلات الجديدة من الموسيقى، وتشتري المجلات التي تعكس إنتاج بيوت الأزياء والجمال في الشرق والغرب، وما ابتدعته عواصم الجمال في لندن وباريس ونيويورك — زعموا — كما أنها لا تنسى أن تشتري ملابس للصيف وأخرى للشتاء، وتعدد من ألوان ومقاسات ما تشتري وتتفنن في انتقاء ما تقتني فمن ملابس طويلة الأكمام إلى أخرى قصيرة كما تتفنن في التوسيع في أطوالها وأحجامها، لأنها تعلم أن الثياب زينة وأنها تضيف على القبح جمالا وعلى الدمامة صباحة. وقد تلجأ العانس إلى الملابس الضيقة والقصيرة لعرض مفاتها وإغراء الحاضرين ولاصطياد الناظرين حتى تظفر بمعجب.

والذي يريد أن يتزوج يروقه في الفتاة هندامها وزينها ولكنه لا يكفي به فقط فسيسال عنها وعن أسرتها وعن أخلاقها وعن تدينها ويجعل هذه الأمور هي الأساس ثم يضيف إليها الهندام وغيره من المظاهر بعد ذلك. وليس المراد أن تخرج الفتاة متبذلة الثياب ظاهرة البذاذة منتنة الرائحة ولكن لا تبالغ في التأنق مبالغة ملفتة للأنظار ومكلفة اقتصاديا مع الحذر من استعمال العطور عند الخروج لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك: **فَعَنْ غَنِيمِ بْنِ قَيْسٍ عَنِ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا مِنْ رِيحِهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ.** (١)

(١) سنن النسائي: كتاب الزينة، باب: ما يكره للنساء من الطيب، حديث رقم: ٥٠٣٦/مسند الإمام

## ٢- الإكثار من استعمال الكريّمات والأصباغ والعطور :

كل الفتيات يسعين بل كل النساء تسعى لتحسين خلقهن مع غفلة أكثرهن وإغفال بعضهن عن تحسين الخلق ومن ثم فهي تهم بمظهرها وجمالها ورشاققتها وتحاول زيادتها بكل السبل المتاحة دون التوقف عند مشروعاتها عند بعضهن مع أن كثيرا من الناس يرون أن الجمال الطبيعي يفوق الجمال المستعار والمستحدث بمراحل عدة وبينهما فرق واسع وبون شاسع ، فالجمال المجلوب في نظر كثير من الناس سراب بقية وبرق خلب وجعجعة لا طحن فيها وقد عكس ذلك المتنبى وكان يرى أن الجمال في البادية وأن نساء الحضرة جملهن مزور مصنوع مستحدث ومجلوب بالكريّمات ومستحضرات التجميل وغيرها وليس أصليا فقال :

ما أوجه الحضرة المستحسّات به كأوجه البدويات الرعايب<sup>(١)</sup>

حسن الحضرة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب<sup>(٢)</sup>

وكثير من الناس يرون أن غانية النساء من استغنت بجمالها<sup>(٣)</sup> عن التجميل

وبحسنها عن التحسن وأن أطيّهن من كان طيها منبعثا منها، وأن حسناوات النساء من

(١) جارية رعبوية: شابة شطبة تارة (الشطبة: الحسنه، والتارة: الممتلئة الجسم)، والجمع الرعايب. ]

المفردات للرغب، مادة: رعب]

(٢) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للبكري ، ج ١ ص ٤٥٧

(٣) قال التعالي عن مراتب الجمال عند المرأة عن الإنثمة: إذا كانت بها مسحة من جمال فهي وضيئة وجميلة، فإذا أشبه بعضها بعضاً في الحسن فهي حسنة، فإذا استغنت بجمالها عن الزينة فهي غانية، فإذا كانت لا تبالى أن لا تلبس ثوباً حسناً ولا تتقلد فلادة فاحرة فهي معطال، فإذا كان حسنها ثابتاً

تغيظ الحلبي وتفوقه ومن تريد الجمال جمالا وقد صور ذلك مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري في زوجته التي كان يرى أن جمالها يفوق الجمال كله وأن طيبها يزيد الطيب عبقا وفواحا وأن حسنها يحسن به الحلبي فقال :

وتزيدين أطيب الطيب طيبا أن تمسيه أين مثلك أينا

وإذا الدرزان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا<sup>(١)</sup>

ومع حرص المرأة بصفة عامة على التجميل والتحسين واستعمال الكرميات والأصباغ ومستلزمات التجميل ولكن يتفاوت اهتمام النساء تفاوتاً ملحوظاً بينهن فالنساء الحديثات الزواج أكثر اهتماماً بهذا الأمر من النساء قديمات الزواج مع إهمال القواعد واليائسات لذلك مع حرصهن على خضاب الرأس وقد أحسن من قال واصفاً حال النساء العجائز اللاتي يتشبين:

عجائز يطلبن شينا ذاهبا يخضبن بالحناء شيبا شائبا

يظن كنا مرة شبائبا<sup>(٢)</sup>

والعجوز تعلم تمام العلم أن الشباب لا يأتي به الخضاب والحناء قالت إحدى العجائز تصف عدم غناء صبغها وحنائها عن الحقيقة شيئاً:

وخضبتُ ما صبغ الزمان فلم يدم صبغي ودامت صبغة الأيام<sup>(٣)</sup>

كَأَنَّهُ قَدْ وُسِمَ فِيهَا وَسِيمَةٌ، فَإِذَا قُسِمَ لَهَا حَظٌّ وَافِرٌ مِنَ الْحُسْنِ فِيهَا قَسِيمَةٌ، فَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إِلَيْهَا يَسُرُّ الرُّوعَ فِيهَا رَانَعَةً، فَإِذَا غَلَبَتِ النَّسَاءُ بِحُسْنِهَا فِيهَا بَاهِرَةٌ.

(١) الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٨٢ / لسان العرب ج ٥ ص ٤٠١٣

(٢) قَصْرَ شَائِبَةٍ فَبَجَلَهَا شَبَّةً ثُمَّ جَمَعَهَا عَلَى الشَّبَائِبِ. (انظر: لسان العرب ج ٧ ص ١٢)

(٣) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ١٣٥ ، دار الجيل بيروت تحقيق عبد السلام محمد هرن ، رسالة مفاخرة

وقال محمد بن علي: لا يدرك الشباب بالخضاب، ولا الغنى بالمنى، ولا العلم بالإدعاء.<sup>(١)</sup>

والفتيات اللاتي في مقتبل العمر يستعملن أنواعا من الكريمات بعضها خاص لإزالة النمش والكلف عن الوجه وبعضها لإزالة البثور والدهون وإخفاء حب الشباب وأخرى مختصة بفتح لون الوجه وإشابهه<sup>(٢)</sup> وإضفاء نضرة وشباب عليه، وتفترط بعض الفتيات إفراطا شديدا في استعمال الكريمات والمساحيق حتى يصير لون وجهها مغايرا للون جسمها فيكون الوجه أبيض شديد البياض ويكون باقي الجسم مخالفا مما اضطر بعض الفتيات إلى لبس القفازات لإخفاء لون الأيدي وباقي الجسم فالملابس كفيلة بإخفائه، ومن الطريف المحزن ما ذكر أن رجلا كان يركب مركبة عامة فرأى يدا سوداء على خد أبيض فاحتملته الحمية وغضب غضبة مضرية وقال: يا فقى ألا تستحي لماذا تضع يدك على وجه هذه الفتاة في هذه المركبة العامة ولا تحترم مشاعر الناس، ولكن الفتاة أجابته قائلة: هذه يدي يا عمي.

(١) كتاب جمل من أنساب الأشراف للبلاذري ج ٤ ص ١١١

(٢) قال ابن منظور: شَبُّ لَوْنِ الْمَرْأَةِ خِمَارًا أَسْوَدَ لَيْسَتْهُ أَي زَادَ فِي بَيَاضِهَا وَلَوْهَا، فَحَسَّنَهَا، لِأَنَّ الضَّدَّ يَزِيدُ فِي ضِدِّهِ، وَيُنْدِي مَا خَفِيَ مِنْهُ، وَلِذَلِكَ قَالُوا: وَيَضُّهَا تَتَبَّنُ الْأَشْيَاءُ، وَرَجُلٌ مَشْتَبٌ إِذَا كَانَ أَبْيَضَ الْوَجْهِ أَسْوَدَ الشَّعْرِ، وَأَصْلُهُ مِنْ شَبَّ النَّارَ إِذَا أَوْقَدَهَا، فَتَلَأَلَتْ ضِيَاءً وَتَوَرَّأَ. وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلْمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حِينَ تَوَفَّيَ أَبُو سَلْمَةَ، قَالَتْ: جَعَلْتُ عَلَى وَجْهِ صَبْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ يَشَبُّ الْوَجْهَ، فَلَا تَفْعَلِيهِ؛ أَي يُلَوِّثُهُ وَيُحَسِّنُهُ. [لسان العرب مادة: شب]

وعند الهاجرة واشتداد الحر ينتقع لون الفتاة ويمتلئ وجهها ماء وجسمها غبارا. وقد ذكر صاحب رسالة الجوارى عن أحد النخاسين أنه قال: ربع درهم حناء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم فضة.<sup>(١)</sup>

وهذه الكريمات التي توضع على الوجه وتذهب لونه مع كلفتها الاقتصادية لغلاء أثمانها، فيها نوع من التغيرير بالناظر إلى وجه المرأة لأنه ليس لون وجهها الطبيعي، بل هي منهي عنها، فعن آمنة بنت عبد الله أنها شهدت عائشة فقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن القاشرة والمقشورة والواشمة والموتشمة والواصلة والمتصلة.<sup>(٢)</sup>

قال المناوي: (لعن الله القاشرة) بقاف وشين معجمة تعالج وجهها أو وجه غيرها بالحمرة ليصفو لونها (والمقشورة) التي يفعل بها ذلك كأنها تقشر أعلى الجلد قال الزمخشري القشر أن يعالج وجهها بالحمرة حتى ينسحق أعلى الجلد ويصفو اللون وفيه أن

(١) انظر: شراء الرقيق ونقله العبيد لأبي الحسن المختار بن الحسن بن عبدون البغدادي المتطبب ج ١ ص ٣٨٧، من ضمن مجموعة نواذر المخطوطات الطبعة الأولى، دار الجليل بيروت ١٤١١هـ — ١٩٩١م.

(٢) مسند الإمام أحمد، باب: باقي مسند الأنصار، باقي المسند السابق، حديث رقم: ٢٤٩٣٣ / كتر العمال، حديث رقم: ٤٥٠١٩ / الجامع الصغير. للسيوطي، حديث رقم: ٧٢٦٣، وضعفه

ذلك حرام لأنه تغيير لخلق الله. (عن عائشة) قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه<sup>(١)</sup> من النساء.<sup>(٢)</sup>

قال أبو عبيد: نراه أراد هذه الغمرة التي تعالج بها النساء وجوههن حتى ينسحق أعلى الجلد و يبدو ما تحته من البشرة.<sup>(٣)</sup> لأن القشر: أن تعالج المرأة وجهها بالغمرة<sup>(٤)</sup> حتى يتسحق أعلى الجلد، ويصفو اللون.<sup>(٥)</sup> والقاشرة: التي تعالج وجهها أو وجه غيرها بالغمرة ليصفو لونها، والمقشورة: التي يفعل بها ذلك، كأنها تقشر أعلى الجلد.<sup>(٦)</sup> والقشور: دواء يقشر به الوجه ليصفو لونه. والقاشرة؛ هي التي تقشر بالسدواء بشرة وجهها ليصفو لونه وتعالج وجهها أو وجه غيرها بالغمرة. والمقشورة: التي يفعل بها ذلك كأنها تقشر أعلى الجلد.<sup>(٧)</sup>

<sup>(١)</sup> عن أم هانئ عن عمتها أمينة أنها لقيت عائشة رضي الله عنها فسألته عن الحناء فقالت لا بأس به بقلة رطبة ولا تقرينه وانتن حيض وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن القاشرة والمقشورة والواصلة والموصولة. هذا حديث غريب فرد والمقشورة التي تقشر وجهها بالغمرة [سير أعلام النبلاء ج ١٦ ص ٥٥٦]

<sup>(٢)</sup> فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للمناوي، حديث رقم: ٧٢٦٣

<sup>(٣)</sup> الغريب لابن سلام ج ٣ ص ١٢٣، مادة: قشر

<sup>(٤)</sup> الغمرة بوزن الجمرة طلاء يُتخذ من الورس وقد غمرت المرأة وجهها تغميراً أي طلست وجهها ليصفو لونها وتغمرت مثله. والورس: شيء أصفر مثل اللطخ يخرج على الرؤم بين آخر الصيف وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لونه. التهذيب: الورس صبيغ، والتوريس مثله. [مختار الصحاح، مادة:

غمر/ لسان العرب، مادة: ورس، مادة: غمر]

<sup>(٥)</sup> الفائق للزمخشري ٣ ص ١٩٦، القاف مع الشين

<sup>(٦)</sup> النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {قشر}

<sup>(٧)</sup> لسان العرب، مادة: قشر

## ٣- إرهاب الوالدين بكثرة المطالب :

قد لا تشعر العانس أن تأنيقها في ملبسها والإكثار من استعمال الكريمات المتعددة التي تكون لإزالة كلف الوجه والنمش والإكثار من تصفيف الشعر وتغيير الثياب وكثرة الدخول والخروج وإرهاب الوالد بكثرة الطلبات أن هذه الأمور تسبب للوالدين كلفة زائدة ، ومشقة مالية كبيرة.

والأب المسكين مع محدودية دخله يريد أن لا يخرج ابنته برد طلب من طلباتها يريد أن لا تكون مكسورة الخاطر مهيضة الجناح منكسفة بين لداقها وأتراها اللاتي تزوجن ويراعي أن هذه البنت لم يكتب لها نصيب الزواج وبخاصة إذا تزوجت أخواتها اللاتي هن أصغر منها فيريد أن يعوضها بعض ما فقدت من عدم ظفرها بزواج تنعم معه ويكون عوناً لها على تقلبات الزمان وصروفه ومعينا على دوائره.

وقد تكون طلبات البنت فوق مقدور الوالد واستطاعته فيضطر إلى إنفاق مدخراته التي ادخرها لغوائل الزمان أو الاقتراض والاستدانة أو بيع ممتلكاته كمزحل أو سيارة ونحوها. ومطالب العانس عدة فهي تتنوع بين ملبوس، واختيار آخر صيحاته وأحذية ، وحلي وقلائد على المخانق والصدور وأساور وورعات<sup>(١)</sup> وقلب<sup>(٢)</sup> وأقراط وخلاخيل وشنف<sup>(٣)</sup>

(١) الرِّعَاتُ: القِرْطَةُ، وهي من حُلِيِّ الأُذُنِ، واحِدَتُهَا: رِعْثَةٌ، ورِعْثَةٌ أيضاً، بالتحريك، وهو القِرْطُ، وجنسُهَا: الرِّعْثُ والرِّعْثُ. ابن الأعرابي: الرِّعْثَةُ في أسفل الأُذُنِ، والشَّنْفُ في أعلى الأُذُنِ، والرِّعْثَةُ دُرَّةٌ تُعَلَّقُ في القِرْطِ. [لسان العرب، مادة: رعث]

(٢) القلب: بضم القاف وسكون اللام آخرها موحدة هو السوار وقيل هو مخصوص بما كان من عظم.

(٣) الشَّنْفُ، وبالضم لَحْنٌ: القِرْطُ الأعلى، أو مِغْلَاقٌ في قُوفِ الأُذُنِ، أو ما عُلِّقَ في أغلاها، وأما ما عُلِّقَ في أسفلها فِقِرْطٌ، ج: شُنُوفٌ. [القاموس المحيط للفيروز آبادي باب الفاء. فصل الشين]

وخواتيم وفتح<sup>(١)</sup> وخرص<sup>(٢)</sup> والتي تكون من الذهب الأحمر الرنان أو الأحجار الكريمة، كما أنها تحتاج إلى مصروف في يدها تشتري به ما تريد من كتب ودفاتر وأقلام وجرائد ومجلات نسائية تتبع فيها آخر صحاحات الموسيقى وكريمات وأصباغ ومنكير ومزيلات له وتكلفة دخول وخروج، كما أنها تريد أن تشتري حاسوبا وما يتبعه من أقراص صلبة ومرنة كما أنها تريد أن تشتري في الإنترنت كما أن لها مطلبا وقتيا تفرضه ظروفها فتطلب تلبية ما يطرأ في عقلها. وإن كان والد الفتاة العانس غالبا يبادر لشراء بعض الحاجيات لابنته من غير طلب للحاجيات منها ولا سؤال لها فيشتري لها بعض المصوغات والأسورة والملابس ويؤمن لها بيتا إن كان مستطعا حتى يرغب الراغبون فيها من المتقدمين يفعل كل هذه الأشياء تطيبا لخاطرها وتحفيضا وإغراء للراغبين في الزواج عليهم أن يقتربوا بها وأن يطمعوا فيها. وهي قد لا تشعر أن هذه الأشياء لها ثمنها وأن الدخول والخروج وما يتبعه من ذهاب إلى الأسواق له ثمنه وقد يعجز الوالد عن ذلك وقد لا يصرح لها بعجزه حياء منها ومراعاة لخاطرها وحفظا لقلبها. والوالد يكثر من دعاء ربه عز وجل أن يكثر نقوده التي يستطيع أن يوفر بها الأصباغ والكريمات وسائر المستلزمات.

(١) بفتحين، جمع فتحة، وهي خواتيم كبار تلبس في الأيدي، وربما وضعت في أصابع الأرجل. وقيل: هي خواتيم لا فصوص لها، وتجمع أيضا على: فتحات وفتاخ. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {فتح}]

(٢) الخرص - بالضم والكسر - الحلقة الصغيرة من الحلي، وهو من حلى الأذن. [النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: {خرص}]

## ٤- الاستغلال :

قد يكون من نتيجة عنوسة الفتيات الاستغلال فعندما يرى أحد الرجال أو بالمعنى الأدق أحد الذئاب عديمي الرحمة فتاة عانسا أثرت فيها عنوستها وأهمتها أيموتها فظهرت آثارها على صفحات وجهها من هم وحزن واكتئاب وشحوب لون وعلى فلتات لسانها فصارت تبدر منها عبارات توحى بعدم الثقة في النفس وباليأس من هذه الحياة والإحباط منها فبدلاً من أن يرحم ضعفها ويبدل جهده في جبر كسرهما ويسعى جاهداً في حل مشكلتها بأن يتقدم لخطبتها شخصياً أو يبحث لها عن زوج متقدم تكتنف بكنفه وتحمي به ، أو أن يواسيها مواساة تذهب ببعض معاناتها ويذكرها بأن هناك أمثلة لفتيات كثيرات غيرها لم يوفقن للزواج وأنها ليست هي العانس الوحيد فالعنوسة داء مستشر أو على الأقل يكف عنها ويتركها وشأنها، فإنه يستغلها استغلالاً يزيد من معاناتها والاستغلال الذي تواجهه الفتاة العانس أنواع منه:

## أ- الاستغلال المالي :

وهو أن يطمع رجل في مال امرأة عانس فيغيرها بالزواج منها ويطمعها فيه ويعدها به ويمنيها وما يعدها إلا غرورا ، ولكنه يعتذر عن الإقدام على الزواج منها بالعوز وقلة ذات اليد وأنها لو أعانته بشيء من مالها ليتجمل به أمام الناس وليكف به ألسنتهم عن تناوله وعن الكلام عنه وحتى لا يقول قائل منهم ويتخرص متخرص منهم وما أكثرهم بأنها : قد تزوجته ، وهذا ليس كريماً في حقه ولا حقها ، فلو أعطته قليلاً من المال فيسقدم على هذا الأمر بلا أدنى تردد ودون أقل توقف. مع أنه عند قبوله لهذا الأمر يود أن لا يطلع عليه زيد ولا عمرو لأن هذا الأمر عظيم وقعه على نفسه وإنما فعله تقديراً لها وإيثارا لمكانتها عنده ولنيل رضاها ومحببتها التي تمكنت منه وخالطت شغاف قلبه وعصبه ومخه.

ولو تعقلت هذه المسكينة لعلمت أن هذا الذنب يكذب عليها: كما يتضح لنا في هذه القصة وأمثالها من القصص التي يتداولها أفراد المجتمع، فقد ذكرت إحدى الصحف قصة بعنوان:

ثرية وعانس تشكو ظلما

كنت المفتاح الضائع وسر اللغز إلى الثروة

سرقني واكتفى بالفتات ... وجعلني أذرف دمعا

قالت إحدى العوانس: الأخ محرر هذه الصفحة<sup>(١)</sup> أنا صاحبة مشكلة، ولكن لن أقول لك إلا الأحداث وسأبقي الأسماء والأماكن مجوزي وعندي رقم الهاتف والفاكس الخاص بصحيفتكم قد لا تصدق إذا قلت لك إنني الآن في الثامنة والثلاثين من عمري (٣٨) عاما وما زلت عانسة<sup>(٢)</sup> رغم أنني ثرية بنت أثرياء ولي حظ لا بأس به من الجمال، وكنت مخطوبة لأحد أقاربي وكان من الفرع الفقير في الأسرة، كان يريد أن يصل إلى خزانة أبي وكنت في نظره المفتاح الضائع، وسر اللغز وكان يطيعني بصورة منحجلة تجعلني أراه أقل قامة مني، نعم كان يتقزم أمامي معتقدا أن ذلك سيكسبه رضائي ولكن لم يكن يعرف أنني لا أحب الرجل الخنوع، أريد رجلا ألوذ به، يكون لي سندا وحماية،

(١) صفحة هموم الشباب بجريدة الوطن السودانية

(٢) الألفصح أن يقال امرأة عانس ولكن قد وردت كلمة عانسة في الشعر، قال الشاعر [معجم البلدان ج ٣ ص ٣ ج ٣ ص ٢٤٠]:

وهل تعودن ليلاتي بذي سلم كما عهدت وأيامي بها الأول

أيام ليلي عانسة وأنت أمرد معروفا لك الغزل وذو سلم

(دُرْقَة<sup>(١)</sup> وسيفا) أنا لا أريد رجلا يتحول خاتما في إصبعي، لا أريد عبدا مطيعا — إن كان هناك عبودية تذكر — وعندما واجهته بما أريد قال لي بجرأة يحسد عليها ، أنا لم أخطبك لأنك حسناء أو لأنك ذات قوام، أنا رأيتك محفظة مكدسة ومفتاحا لخزانة لا تنضب وأن الطريق إلى المال يكون عبرك، لقد عشت فقيرا ومحروما جربت أن ألوك الصبر وأن أبيت ليالي عديدة في عز الشتاء جانعا، لم أملك في حياتي ملابس لائقة، رغم أنني جامعي أعمل مدرسا ، إنني أساعد والدي الذي ينوء بحمل كوم لحم هم إخوتي أنا لا أعرف كلمات الغزل ولا الحب، ولا أريد أن أكون كاذبا أمامك ،<sup>(٢)</sup> وأنا لا أتقزم أمامك أنا تربيته على أن أقول : نعم وحاضر، وأن أكون منفذا لأوامر من يملكون، وواصل قائلا: عاملتك برقة، وطاعة لأنك الحلم الذي أبحث عنه، حلم أن أكون ثريا، وأن يكون لي أبناء لا يعرفون طعم الجوع، وأن ..... وانهمرت دموعه.

وقلت لنفسي: ماذا يضربني أن أعطيه فرصة أخرى وقد كان، وخلال تلك الفترة اشترت له وعلى شكل هدايا كل الملابس والبدل الفاخرة التي تمنها وحلم بها، بل دفعت له ثمن عربة نصف مستعملة، وحتى لا أخرجها فقد أعطيته حق الإمضاء معي،

(١) الدرقة: الترس من الحديد في العامية السودانية، وفي الفصحى، الدُرْقُ: ضرب من الترس، الواحدة

دُرْقَة تتخذ من الجلود. والجمع دُرْقٌ وأدراق ودِرَاق. [لسان العرب: مادة درق]

(٢) لقد صدقتك هذا الرجل وأفصح لك عن خزائن نفسه مكنونات صدره ولكنه لعل الخوف من جانبك أن تجدي عازبا غيره مع تقدم السن وتعني النفس بأن تجعله يغير رأيه هو الذي دفعك إلى التمسك به.

عليك رتق الأمر واستدراك الحال بالموافقة بزوج يكون دون تطلعاتك كأن يكون متزوجا أو

أرملا أو متقدما في السن. والله يعينك ويأخذ بيدك وسائر عوانس المسلمين.

في حسابي الذي كان وضعه والدي باسمي، كان به مبلغ يقارب الـ (٣) ملايين جنيهه، ولم أكن أصرف منها.

وحصل خطيبي على إعارة في بلد عربي وسعدت كثيرا بذلك، وودعني على أن يعود ليعقد قرانه عليّ ويصحبني معه حزنت لفراقه واكتشفت أنني كنت أحبه، وكنت أحاول أن أخفي ذلك وبعد أسبوع من سفره، كانت المفاجأة أعطيت شيكا بمبلغ ربع مليون جنيه لصديقة مسافرة لتجلب لي ما أحتاج من الدولة التي هي ذاهبة إليها، وعادت إلي في اليوم التالي لأن الشيك ارتد لعدم وجود رصيد، وكادت المفاجأة تشلني، وذهبت إلى البنك وهناك رأيت أن خطيبي وفي شهر واحد قبل سفره، قد سحب المبلغ على دفعات بالتوقيع الذي سمحت به له أن يتصرف في رصيدي لقد سرقني الرجل الذي كنت أدخره للمستقبل.

وكان بإمكانني أن أقاضيه ولكن أعلنت فسخ الخطوبة من جانبي وأخبرت والدي، وشعرت بحسرة وطلعتني الشماتة في عيون أسرتي ووصفوني بالمغفلة وقالوا: إنني مغفلة، ولم أكن كذلك، كنت إنسانة<sup>(١)</sup> طيبة، رأيت خطيبا في مأزق، فمددت يدا للمساعدة، ولكنه داس على اليد الممدودة، واكتفى بعظمة من مأدبة حافلة بالشراء.

إنني أسألك سؤالا واحدا: هل كنت ساذجة أم أن النية الطيبة خذلتني؟

مخدولة

من المحرر:

(١) قال ابن منظور: يقال للمرأة أيضاً إنساناً ولا يقال إنسانة، والعامية تقول له. [لسان العرب، مادة:

إنك لست ساذجة ولا غبية فقط أعطيتي ثقة غالية لرجل رخيص لا يعرف قدر نفسه، ولا مقدار الثقة. أركليه بعيدا واحتسبي ما ضاع عند المولى وثقي في نفسك أنه درس، والدروس ليست مجانية ما أخذه ذاك النكرة كان ثمنا لدرس بليغ، وإن كان مؤلما.<sup>(١)</sup>

### ب- الاستغلال البطني :

من أنواع الاستغلال التي كانت معروفة عند العرب سابقا أن يذهب رجل إلى أناس زاعما منه أنه يريد خطبة ابنتهم ونيل ودهم والقرب منهم وربط أسبابه بأسبابهم فيكرمونه فيذبحون ويقدمون له ما يستطيعون من أنواع المأكول والمشروب ويكون هدفه نيل هذا الأكل والشرب وملء بطنه والاكتفاء بهذا ثم الذهاب إلى آخرين لتكرار نفس الفعلة ، قال ابن منظور يصف هذا النوع من الخطاب الذين لا تجاوز خطبتهم بطونهم، وأن واحدا منهم ذهب إلى مجموعة من أناس لهم بنات في سن الزواج وكان أمامهم لبن في قربة كبيرة فنظر إلى القربة وقال جئتكم خاطبا، وعلموا هدفه الحقيقي من الخطبة بنظراته نحو وطب اللبن وهو أن يشرب هذا اللبن، بعضه أو كله فقال: ورجل خطاب كثير التصرف في الخطبة قال :

بَرَّحَ، بِالْعَيْتِينَ، خَطَّابُ الْكُتْبِ يَقُولُ: إِنِّي خَاطِبٌ، وَقَدْ كَذَبُ

وَإِنَّمَا يَخْطُبُ عُسًا مِنْ حَلَبٍ<sup>(٢)</sup>

### ج- الاستغلال الاستماعي:

الاستغلال الاستماعي أنواع منه :

(١) جريد الوطن السودانية عد ٢٦٢ / الاثين ١٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ — الموافق ٦ / ٨ /

٢٠٠١م

(٢) لسان العرب ج ٤ ص ١٣٥

أ - يريد الخاطب إمتاع نفسه بإدامة النظر إلى من خدعها بخطبته لها والحديث معها والمفاكهة والمضاحكة والمغازلة وإمضاء الساعات الطوال في الجلوس سويا موهما لها أنه يريد الزواج منها والتعرف عليها تمهيدا لخطبتها. ولكنه يكون في حقيقة الأمر يريد إنفاق الأوقات معها وتزجيتها والتخلي عنها بعد ذلك.

ب - يريد الخاطب إمتاع نفسه بالدخول والخروج معها والتدرج إلى مراحل أعلى من ذلك من اللمس والتجميش<sup>(١)</sup> والتقبيل.

ج - يريد الخاطب إمتاع نفسه بالاستغلال الجنسي فيوهما هذا الذئب بأنهما سيتزوجان وأنها ستكون له ويكون لها فينال من عرضها ثم يذهب تاركها تجتر الحشرات وتأكل الندم وتعص الأنامل من الغيظ على تفريطها في نفسها وركونها إلى خداعه ذاهبا ليغرر بعانس أخرى فما أكثرهن وما أسهل خداعهن. مع عدم نسيان الحديث عنها وفضيحتها وإشانة سمعتها وأنه تركها لأنها أخبرتة بأنها ليست بكرا وأنه كان يريد سترها وراقبها فوجدها مع فلان وفلان.

د - استغلال مكانة وجاه العانس ومكانة أهلها وجاههم:

قد تكون بعض العوانس من أسر مرموقة لها مكانة اجتماعية كبيرة وسط المجتمع، أو تكون العانس نفسها لها وظيفة كبيرة في ديوان من دواوين الدولة، ويكون هذا الخاطب رويضة من رويضات المجتمع ونكرة من نكراته فيأتي إليها مطمعا لها في الارتباط بها والزواج منها فتصدق المسكينة ويكون هدفه الحقيقي استغلال مكانتها الاجتماعية المرموقة ومكانة أهلها في تحقيق مكاسب خاصة به من نيل وظيفة أو دفع شر محقق به، أو

(١) الجَمْش: ضربٌ من المغازلة بقرض ولعب، وقد جَمَّشَه وهو يُجَمِّسُهَا أي يُقَرِّصُهَا

ويُلاعِبُهَا. [لسان العرب: مادة جمش]

إخراج حقوق له مهضومة. أو نحو ذلك من الأغراض والمطامع وتركها ولفظها بعد نيل مراده منها وقضاء مآربه وتحقيق مطامعه.

### هـ - استغلال إيذاء الشعور :

قد يريد أحدهم إمتاع نفسه بالذنو من العانس ومحادثتها وإيهامها أنه يريد حل مشكلتها ويكون في الحقيقة يريد أن يقضي وقتا وأن يري غيره من الناس أنه يهتم بمشاكل الآخرين وقضاياهم ، أو يقول ضاحكا بملء فيه لأحد أصدقائه أو الماكرين مثله : ما رأيك في الزواج من هذه المرأة ولست مطالبا بشيء سوى أن تكون رجلا أو بالمعنى الأدق أن تكون فحلا ، فلست مطالبا بمهر ولا بيت ولا نفقة فكل هذا متوفر لك وإنما الناقص هو الرجل فكن أنت ، فيجرح شعورها ولا يفيدنا شيئا بل يتخذها أضحوكة وسخرية.

— وحتى بعض الباعة المتجولين لا تسلم من أذاهم العوانس، فمن القصص التي حدثت أن بائعا متجولا كان يعرض أنواعا من الأكواب تسمى [ بايركس ] <sup>(١)</sup> فيأتي ويصيح وسط الحارات والمنازل بأعلى صوته: خذوا الباييركس ويكون في الحقيقة يقصد الفتيات البائرات.

فخرج إليه أحد الرجال الغيورين فقال له: والله لو سمعت منك هذه العبارة بعد هذا اليوم، فلن تنال خيرا ولن تسلم مني، فقل أي شيء تبيع به بضاعتك وتزوجها، ويمكنك أن تقول: خذوا الأواني والصحون ونحوها من عبارات التسويق ولكن لن نسمح لك أن تؤذينا في بناتنا.

(١) أي الممتعة عن الكسر